www.aljawadain.iq

٨٢٥٢
١٨٨
٥٩/

رواد الشعر الحر في العراق

روّاد الشعر الحرّ
في العراق

تأليف
سلمان هادي آل طعمة

دار البلاغة

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

تلفاكس : 544334 / 546787 مكتبة : 544336

ص. ب : 25/16 بيروت لبنان e - mail : balagha@cyberia.net.lb

الإهداء

إلى المؤمنين بخلود التراث العربي الزاهر شعراً وبياناً

رغم عاديات الزمن،

والعاملين على النيل منه..

وتبقى لغة القرآن الكريم

نبراساً للعرب في كل زمان ومكان.

سلمان هادي ال طعمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

أرض العراق وشعبه، طبيعة شعرية زاخرة بعناصر الجمال والإلهام والإبداع، والروح العراقية كذلك مؤهلة للتعبير عن أحاسيسها تعبيراً منبثقاً عن موسيقى آخاذة، تخرج من القلب، يصورها العقل ويسجلها الخلود. وقد انفتح العراقيون على التيارات الفكرية والأدبية الفاعلة، وتلقحوا بها، فجرت في عروقهم دماً جديداً.

في هذا الجو من التدفق والنهوض، وجدت حاجة ملحّة لابتكار أساليب جديدة في الشعر العربي المعاصر تحمل مضامين وآراء تتناسب وحداثة المواقف. هذا الابتكار الشعري دعا إلى شحذ القرائح وإلهاب الهمم وخصب النفوس، يلبي حاجات العصر التي أصبحت ضرورة قصوى للحياة بالنظر لتنوع الحاجات في عصرنا الراهن بعد مضي نصف قرن على تأسيس الحداثة الشعرية العربية.

لقد تبلورت مقومات الشعر العراقي المعاصر من خيوط الثقافات المتشابكة، التي لا بد لها من إيجاد نافذة تطل على مساحة الشعر العراقي والإفادة من تلك الثقافة التي وفدت من الغرب، وتأقلمت في بيئة الشرق، فجاءت الحداثة بمثابة انقلاب على النمطية التي ثار عليها الشعر العربي بأساليب مختلفة.

وإني هنا أعرض للقارىء العربي سير وشواهد شعرية من تجارب جيل الرواد للشعر الحر في العراق، علماً بأني ركزت في هذا الكتاب على هذه

النخبة المنتخبة من أولئك الشعراء لأنهم أكثر سبقاً وشهرة وممارسة في هذا اللون من ألوان الشعر العربي، مستنداً في سير الشعراء المعنيين على المصادر المتوفرة وأهمها (شعراء عراقيون) لمنذر الجبوري، و(في الشعر العراقي الجديد) لطراد الكبيسي، و(الشعر والشعراء في العراق) لأحمد أبو سعد، و(معجم أعلام العراق في القرن العشرين) لحميد المطبعي، و(آراء في الشعر والقصة) لخضر الولي. وبعض المجلات العراقية والعربية، منها (الآداب) و(الأديب) و(شعر) و(الكلمة) و(الأقلام). وسيلاحظ القارىء أن انطلاقة حركة الرواد للشعر الحر في العراق في بداياتها كانت ذات مسوح رومانسية، وأبعاد فكرية، تنتمي لكل ما كان يُعد جديداً في تلك الحقبة من الزمن.

أخيراً، فقد أخذتُ على عاتقي مهمة إخراج هذا الكتاب، الذي يضم بين دفتيه آراء متعددة ونماذج شعرية مختلفة، كان هدفي منها رسم الخطوط الجديدة التي يسير عليها الأدب الحي، مواكباً الحركات الفكرية في العالم جنباً إلى جنب، حيث التطور والتقدم، آملاً أن أكون عند حسن ظن القارىء، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه خير الأمة وصلاحها، إنه سميع مجيب.

كربلاء ـ العراق — **سلمان هادي محمد مهدي آل طعمة**

٢/ ٥/ ١٩٩٩

الشعر الحر.. لماذا؟

لا شك أن الشعر العراقي المعاصر هو حصيلة ثمار المدرسة القديمة للشعر العراقي، ولا بدّ من إضافة على تأسيس تلك المدرسة بثوب جديد يتناسب ومتطلبات الحياة المعاصرة.. والواقع أنّ هذه المدرسة بدأت تؤثر في شكل الشعر ومقوماته الفنية، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م، وأحالت هذه الضجة والزخرف اللفظي والعبث الفني إلى تجارب حيّة دمغت أدبنا العراقي بميسم لا يحول، وتلقيح تقاليدنا الأساسية بقيم عصرية حديثة. فالشعراء الجدد التفتوا إلى الوحدة العضوية وتنميتها، واتحاد الشكل والمضمون في القصيدة الحديثة. يقول الدكتور محمد النويهي: «فالشكل الجديد يتحرر نظامه التشكيلي وسماحته بقدر طيب من التنوع والإيقاع والنظم يتيح للشاعر الجديد في هذا المجال ما لم يكن يتيحه له الشكل التقليدي بجرسه الزائد الجدة وحدوده الشديدة الرتوب والانضباط، بل أن بعض الأوزان المأثورة حين تستعمل في الشكل الجديد تقترب بعض الاقتراب من الأساس الإيقاعي للشعر الانجليزي»[١].

يروي مؤرخو الشعر العراقي أن حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي والنشاط الواسع لهذه الطريقة بدأ بعد تأسيس جمعية (أبولو) ومجلتها في مصر سنة ١٩٣٢، ولا شك أن مجلة كهذه قد وصلت إلى كافة الأقطار العربية وبضمنها العراق، فيها نماذج متعددة من الشعر الحر، وقد اطلع عليها الأدباء.

---

(١) قضية الشعر الجديد: د. محمد النويهي ص١٢٦.

ويرى عباس توفيق أنه «مهما يكن من أمر فإن النقلة الممتازة التي حققها أدباء العراق في الشعر الحر بعد الحرب العالمية الثانية قد ولدت آنذاك حركة نقدية صحفية طفيفة»[1].

أما ظاهرة التكرار وأعني تكرار اللفظ في هذا اللون من الشعر، تزداد أهمية في أداء الأماني والافصاح عن المشاعر والعواطف والخلجات النفسية، فالتكرار في بعض القصائد توحي بالرتابة المملة، وهذا اللون شائع لدى الكثير من شعرائنا المعاصرين. وتكرار اللفظ المفرد أحياناً له مزايا إيقاعية ونغمية جيدة لكنه «ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها، كما أنه لا بد أن يخضع لكل ما يخضع الشعر عموماً من قواعد ذوقية وجمالية متباينة»[2].

مصطلح الشعر الحر:

ادعت الشاعرة نازك الملائكة أنها أول من وضع مصطلح (الشعر الحر) وأطلقته على هذا اللون من الشعر الذي يعتمد (التفعيلة) كأساس عروضي له، مع عدم التقييد بالقافية الموحدة، ونفت علمها بأية دعوة شعرية تحمل نفس المصطلح، كدعوة أبي شادي مثلاً، التي لم تسمع بها نازك إلا عام ١٩٦٣ أي بعد أن انتشرت حركة الشعر الحر وشملت الوطن العربي كله[3]. بيد أنّ شيوع مصطلح الشعر الحر الذي تفتخر نازك الملائكة بوضعه لا يعني أنه حاز على قبول النقاد على الاطلاق، لذلك بعد أن قابل بين مدلولي المصطلح في الأدب الغربي والعربي، أبدى الشاعر علي الحلي استغرابه من عدم طرح القضية على طاولة البحث في الندوات والمؤتمرات المتخصصة، إلاّ «أنّ ما

---

(١) نقد الشعر العربي الحديث في العراق: عباس توفيق ص٢٥١.
(٢) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ص٢٣١.
(٣) شجر الغابة الحجري: طراد الكبيسي ص٤٣ و٤٤.

يدعو إلى التساؤل الملح في هذا الموقف من القضية أن هناك مؤتمرات عديدة عقدت للأدباء والمثقفين العرب في شتى عواصم العروبة وخارجها وقد عرضت فيها بحوث نقدية شتى وتعريفات بالمصطلحات لكن أحداً منها لم يتوصل إلى وضع صورة نهائية تضفي على المصطلح تسمية مستلة من الدقة العلمية والموضوعية والفهم التاريخي لكي يكون التداول عاماً ومشروعاً. ترى أين المجامع اللغوية العربية، أليس من اختصاصها أو حتى من إسهاماتها المتواضعة تحديد تعريف دقيق، ومن ثم وضع المصطلح الجديد بما ينسجم مع واقع الشكل الشعري الجديد»[1].

ولعل شيوع المصطلح أغنى المثقفين الذين عناهم الحلي في محاولة إعادة النظر فيه، وإن كان هذا الموقف لا يحلو للحلي الذي قدم هذه الإدانة في دعوة للتغيير بقوله: «إنَّ الاستمرارية في استعمالات التعبير الخاطىء من المصطلح المتداول الآن (الشعر الحر) لا يعنينا من ديمومة الزلل، إننا ما زلنا تواقين إلى وضع مصطلح حي منسجم مع واقع التجربة الشعرية الجديدة، بعيداً عن المحاكاة الخاطئة، وبما يليق بها من تجارب خلاقة أرست دعائمها بكل دفء الإبداع وجرأته، لكي تبقى»[2]. وقد تأثر الشعراء العرب بهذا الضرب من الشعر الأوربي، الذي ولد بالتسمية على الأقل، وقد ظهر هذا في دعوة أبي شادي منذ الثلاثينات في هذا القرن، هذه الدعوة التي أطلق عليها اسم الشعر الحر، وهي تقوم على الجمع بين أوزان وقوافي مختلفة حسب طبيعة الموقف ومناسباته، وقد تجلى هذا بوضوح في نماذج كثيرة من شعر أبي شادي، وعند إيليا أبي ماضي وجبران في (المواكب) وفي قصيدة خليل شيبوب (الحديقة الميتة والقصر البالي) التي ذهب الصديق الشاعر كاظم جواد

---

(١) عودة إلى الشعر الحر: علي الحلي ـ جريدة (الجمهورية) الاثنين ١٠/٩/١٩٨٤.

(٢) عودة إلى الشعر الحر: علي الحلي (المصدر السابق).

إلى أنها من المحاولات البدائية في الشعر الحر، وقد جعل خليل شيبوب كل شطر فيها يرجع إلى بحر من بحور الشعر العربي أو إلى مجزوئه أو مجزوء مجزوئه[1]،

إننا نسلّم بأن شعرنا الجديد لا يحتاج إلى شيء قدر ما يحتاج إلى أن نوسّع آفاقه، وأن يخرج من انغلاقه الطويل على نفسه واجتراره لمعانيه المستهلكة، وأن يُطعم بالقيم الفنية.

فالأستاذ علي عباس علوان محقٌ حين يقول: «كان لا بد للشاعر في هذه المرحلة أن يجد الشكل الجديد القادر على إنهاء تلك العلاقة المتوترة ما بين قيود القصيدة التقليدية والتحسينات التي أدخلت عليها في قصيدة الشاعر الرومانسي بعد الحرب الأولى وبين القضايا والمضامين المطروحة على وجدان الشاعر بطريقة جديدة وعنيفة. وإذا كانت مجموعة الشعراء العراقيين الجدد وفي مقدمتهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي قد اطلعوا على محاولات التجريب الفنية، التي مارسها شعراء المهجر وجماعة الديوان ومدرسة أبولو قبل الحرب العالمية الثانية، فإن من المشكوك فيه أن يكونوا قد أفادوا كثيراً منها واتخذوها قاعدة للانطلاق نحو إيجاد بُنية القصيدة الجديدة، فالسياب يشير في مقدمة ديوانه الثاني (أساطير) ١٩٥٠ إلى بعض تلك التجارب، ولكنه يفرقها عما أوجده هو من أساليب موسيقية كالضربة التي تقابل التفعيلة في الشعر الانكليزي. ونازك الملائكة تؤكد أنها لم تطلع على قصيدة الشعر الحر التي كتبها أبو شادي ـ وهي أنضج تجارب الشعراء الرومانسيين قبل الحرب الثانية إلا في سنة ١٩٦٣ لأنها كانت في سن الطفولة حين صدرت مجلة أبولو في مطلع الثلاثينات، بينما ذهب البياتي إلى التأكيد بأن أي واحد من شعراء هذه الفترة من العرب لم يستطع أن يلفت نظرنا»[2].

---

(١) شجر الغابة الحجري ـ طراد الكبيسي ص٤٥.

(٢) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: د. علي عباس علوان ص٥٥٢.

ومما يشار إليه أن مجلة (الآداب) ١٩٥٣ ومجلة (شعر) ١٩٥٧ وغيرهما من المجلات والصحف العربية هي التي احتضنت الشعر الحر وشجعته، ولعل أبرز سمة تجمع بين أغلب شعراء مجلة (شعر) هو انطباع شعرهم بالغموض سواء كان نابعاً من صميم التجربة الشعرية أو طارئاً عليها، حتى لكأن الغموض ـ من شعر هذه المجلة ـ قيمة شعرية مستقلة لا تعني شيئاً سوى تأكيد العبث واللاجدوى. أما السمة الأخرى فهي النزوع إلى التجريب المستمر في الأشكال الشعرية وكأن الضياع الفكري يجد في التجريب تعويضاً عنه، ويتخذ من التجديد قيمة منفصلة عما حولها، هدفها الابتعاد عن التراث وقطع كل صلة[١].

جيل الرواد:

ينبغي علينا أن نتذكر بأنّ عدداً من رواد شعرنا العربي الجديد قد هبوا يواجهون تجارب الحياة الواقعية والرومانتيكية بمزيد من الجدة والأصالة والغنى والعمق. يقول طراد الكبيسي: «ومهما يكن فقد مثل هذه الرومانتيكية والتيارات المتداخلة معها، جملة من الشعراء العراقيين نذكر منهم بدر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وصفاء الحيدري وأكرم الوتري ومحمود البريكان وشاذل طاقة وصالح جواد آل طعمة وكاظم جواد ورشيد ياسين ورشدي العامل وعبد الرزاق عبد الواحد وحسين مردان وغيرهم»[٢].

لكن القارىء يلاحظ أنَّ محمد الجزائري يقسم شعراء هذا الجيل من الرواد في تلك المرحلة إلى رعيلين كقوله: «لقد كان الرعيل من شعراء الشباب آنذاك يضم إلى جانب السياب، محمود البريكان، نازك الملائكة، أكرم الوتري، رشيد ياسين، بلند الحيدري، حسين مردان، عبد الوهاب

---

(١) الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي: محمد حسين الأعرجي ص٤٥.
(٢) شجر الغابة الحجري: طراد الكبيسي ص٧٨.

البياتي، كاظم السماوي وشاذل طاقة، ومعظم هؤلاء كانت مساهماتهم الشعرية أقرب إلى الاستقرار. أما الرعيل الثاني والذي بينه وبين الأول مسافة أربع أو خمس سنوات فهو الذي وقع نسبياً تحت تأثير هؤلاء الشعراء والسياب بصورة خاصة، وأوضح شعرائه: سعدي يوسف، شفيق الكمالي، مظفر النواب، لميعة عباس عمارة، كاظم جواد، علي الحلي، راضي مهدي السعيد، محمد النقدي، موسى النقدي، صالح جواد الطعمة، كاظم التميمي، زهير أحمد القيسي، عبد الرزاق عبد الواحد»[1].

استطاع الرعيل الأول من جيل الرواد أن يحوّل هذه التجارب إلى نقطة جذب واهتمام ومن ثم إلى ظاهرة ملفتة للنظر. وقد أدلى يوسف الصائغ برأيه في هذا الخصوص قائلاً: «يمكن للباحث أن يحدد لنشأة الشعر الحر في العراق، الحقبة الممتدة بين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ تذكر نازك الملائكة: أما بداية الشعر الحر كانت الشهر العاشر من سنة ١٩٤٧ عندما كتبت قصيدتها (الكوليرا) ويذكر بدر شاكر السياب أنه كتب قصيدته (هل كان حباً) في نهاية عام ١٩٤٦، ولقد شغل عدد من مؤرخي الشعر الحر مناقشة قضية السبق هذه كما شغل بها الشعراء الرّواد ردحاً من الزمن[2].

وقد سخر علي الحلي من هذا الجدل حول أسبقية (الكوليرا) أو (هل كان حباً) مما جعل القضية وكأنها محاكمة في سباق ماراتوني. . . ! وأبعد الباحثين عن لب القضية. قال علي الحلي: «ولو توجهت أكثر الدراسات بجدية إلى تدقيق المضامين الأولى مما صدر من هذا (الشعر الحر) بصرف النظر عن الأسماء والهويات والانتماءات وأشبعتها تحليلاً تذوقياً وجمالياً وتغلغلت إلى تناغمات موسيقاها الداخلية ومن ثم ربطت بينها بوعي

---

(١) ويكون التجاوز: محمد الجزائري ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٢) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨: يوسف الصائغ ص٣٣.

واستيعاب، وبين قوالبها أو أساليبها أو أشكالها العروضية الجديدة، الخارجة عن عمود القصيدة العربية الكلاسيكية التقليدية بشكل كلي أو جزئي، لكان ذلك أجدى بكثير من البحث عن الفارس الأول ورديفه في حومة السباق الطوباوي»[1].

ولعل نازك الملائكة نشرت بذور القضية التي يلوح لها علي الحلي ويتمنى الالتفات لها بالتحليل بدلاً من الانشداد إلى ذلك السباق، وذلك في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) حيث قالت: «إنَّ الشعر الحر شعر ذو أسلوب جديد ولكنه ليس خروجاً على طريقة الخليل، وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل»[2].

ويؤيد عبد الوهاب البياتي ما ذهبت إليه السيدة نازك الملائكة بالقول: «الشيء الذي أحب أن أوضحه لك وللآخرين أنه ليست هناك ثورة على القواعد الكلاسيكية ولا على القوافي والأوزان، ولم يتعد الأمر سوى تطوير وتشكيل أسلوب الأداء الشعري وبنية القصيدة بحيث تتلائم مع التعبير والمضمون، وواضح أن الشعر لم يهدف من وراء هذا التجديد إلاّ إلى فتح آفاق جديدة قد قصر عن بلوغها الشعر القديم بوسائله العاجزة»[3]. ويضيف يوسف الصائغ إلى القول الآنف الذكر: «إن الشيء الذي يصح تأكيده هو أن رواد الشعر في العراق كانوا مسبوقين بعددٍ من المحاولات في هذا المجال قد تكون قليلة ولكن بعضها ليس بعيداً زمنياً، فالنماذج التي قدمناها لسليم حيدر وفؤاد الخشن ونقولا فياض تسبق بقليل تواريخ المحاولات الأولى للسياب والملائكة فضلاً عن محاولات نسيب عريضة، خليل شيبوب، علي أحمد

---

(١) عودة إلى الشعر الحر: علي الحلي (المصدرالسابق).
(٢) شظايا ورماد: نازك الملائكة (المقدمة) ص١١.
(٣) آراء في الشعر والقصة: خضر الولي ص٣٤.

باكثير، لويس عوض، محمد فريد أبو حديد»[1].

ويقول محمد حسين الأعرجي: سواء استطاع رواد الشعر الحر التخلص من الرومانتيكية أم لم يستطيعوا، فإن دعوة نازك نفسها إلى هجر التغييرات الجاهزة في اللغة، وإدخال ألفاظ جديدة لم تستعمل في الشعر من قبل هي أثر من آثار المدرسة الرومانتيكية. ومهما يكن من أمر فإن حركة الشعر الحر استطاعت أن تحقق أماني المجددين قبلها في مطلع هذا القرن، فقد تخلص الشعر أو كاد من أسر القافية الذي اشتكى الزهاوي منه، وهيأ للشعراء أن يتجهوا اتجاهاً جاداً إلى المسرحية الشعرية فكتب بعضهم كصلاح عبد الصبور ومعين بسيسو وعبد الرحمان الشرقاوي مسرحيات قوبلت بالنجاح، وأنهت الحركة أيضاً ما أحاط اللغة الشعرية من هالة تواجهها في كل قضية فاقترب نفر غالب من شعرائها إلى لغة تكاد تكون قريبة من لغة الحديث اليومي[2].

وهكذا نجد أنّ الشعر الحر في العراق ابتكر وطوّر الحركة الشعرية، وعايش أحداثها، وقد أصاب قدراً واسعاً من التطور في التجديد من حيث الأغراض والمضامين، فضلاً عن الجانب الشكلي، حتى أنّ محمد رضا الشبيبي ـ وهو من كبار شيوخ الأدب في العراق ـ عبَّر عن عدم خشيته من هذه الثورة الشبابية التي قادها جيل الرواد في جوابه عن سؤال وجهه له الأديب خضر الولي، فأجابه الشبيبي قائلاً: «لا أخشى على مستقبل الشعر ولا أرى في ثورة الشعراء الشباب خطراً عليه، إذ ليست هناك ثورة على أساليب الشعر الأصيلة، وإن كان قد ظهر شعراء مجددون تناول تجديدهم المعاني الشعرية فاستلهموا شعرهم واستوحوا منظوماتهم من شؤون الحياة العامة في هذه

---

(١) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨: يوسف الصائغ ص٢٦.

(٢) الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي: محمد حسين الأعرجي ص٤٤.

البلاد ومن شعورهم الصادق بما يشعرون به»[1]. ولا يخفى على القارىء أن الغرض الرئيسي من هذا اللون هو كسر الرتابة والحفاظ على البحور الخليلية وتخليص شعرنا العربي مما اكتظ به، وخنق أنفاسه من العواطف المصطنعة والضخامة الفارغة وسائر رواسب التراث.

أما فترة الستينات وأعني بها الفترة التي تلت جيل الرواد، فقد شهد الشعر العراقي الحديث امتداداً لسمات الرواد الأوائل المار ذكرهم، وقد فتحت الصحف العراقية صدرها لنشر نتاجات الشعراء الشباب، قرأنا قصائد تنم عن تجربة ناجحة للولوج إلى الشعر الكبير، وهؤلاء الشعراء تأثروا بالأحداث السياسية حتى لكأنها هزتهم هزاً، ابتداء من ثورة تموز ١٩٥٨ ووصولاً إلى نكسة حزيران ١٩٦٧ وما أعقبها من هزائم واستمرارية الثورة الفلسطينية. يقول الدكتور محسن اطيمش: ومن يتابع النتاج الشعري لجيل الستينات فسيرى أن خالد علي مصطفى يكاد يكون أبرزهم في الإفادة من العبارة أو المفردة التراثية إذا قيس نتاجه إلى نتاج زملائه كحسب الشيخ جعفر وسامي مهدي وفوزي كريم وحميد سعيد والمطلبي وغيرهم، وسيمر بنا أن لغة فاضل العزاوي وهو من جيل خالد نفسه ستغدو في الشجرة الشرقية تمثيلاً للغة التراث[2]. وكان مطلع السبعينات فرصة لرسوخ أقلام هؤلاء الشباب ومن ظهر بعدهم، إلا أن قسماً منهم لم يكونوا على نفس المستوى من الريادة والإبداع كالرواد الأوائل، وقد وصل بالبعض أن ينشروا نتاجات تافهة لا تشكل علامات مضيئة في الشعر الحر.

---

(١) آراء في الشعر والقصة: خضر الولي ص٧.

(٢) دير الملاك: د. محسن اطيمش ص١٩٧.

بدر شاكر السياب

* ولد في قرية جيكور ـ قضاء أبو الخصيب ـ من محافظة البصرة جنوب العراق سنة ١٩٢٦ .

* دخل المدرسة الابتدائية في أبي الخصيب عام١٩٣٢ وتخرج فيها عام ١٩٣٨ حيث دخل المدرسة المتوسطة وتخرج من الدراسة الثانوية في مدينة البصرة عام ١٩٤٣ .

* دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً) وقضى سنتين في فرع الأدب العربي ثم انتقل إلى فرع اللغة الانكليزية فتخرج منه عام ١٩٤٨، واشتغل في التدريس بضعة أشهر في ثانوية الرمادي من محافظة الأنبار .

* تقلب بعد ذلك في أشغال شتى في الشركات الأهلية كمأمور مخزن ومراقب عمال وكاتب ومترجم ثم محرراً في عدد من الصحف المحلية ثم استقر به المقام في مديرية التجارة العامة (الأموال المستوردة) .

* نقلت خدماته إلى مصلحة الموانىء العراقية .

* بدأ بكتابة الشعر ربيع عام ١٩٤٠ ونشر في ذلك الوقت عدداً من القصائد في صحف بغداد كما نشر بعض القصص القصيرة .

* في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٦ نشر قصته القصيرة (كأس حلاق القرية) ثم نشر عام ١٩٥٨ قصته القصيرة (شجاعة في يوم قائظ) وفي ١٥ آذار ١٩٥٨ نشر قصته (خالفو) وفي ١٢ تموز ١٩٥٨ نشر قصته (عبد الماء) وهذا ما يؤيد

كونه يكتب القصة القصيرة. .

* عام ١٩٦١ حضر مؤتمر الأدب العربي المنعقد في روما بإيطاليا وألقى محاضرة عن «الالتزام في الشعر».

* من كتبه المترجمة التي صدرت له (مولد الحرية) و(الجواد الأدهم) و(قصائد مختارة من الشعر العالمي) وكتاب ترجمه مع آخرين بعنوان (ثلاثة قرون من الأدب).

* من مؤلفاته الشعرية المطبوعة (أزهار ذابلة ١٩٤٧) و(حفار القبور ١٩٥٢) و(الأسلحة والأطفال ١٩٥٤) و(أساطير ١٩٥٠) و(منزل الأقنان ١٩٦٣) و(أنشودة المطر ١٩٥٦) و(شناشيل ابنة الجلبي ١٩٥٦) و(المومس العمياء ١٩٥٤) و(أنشودة المطر ١٩٦٠) و(قيثارة الريح ١٩٧١) و(أعاصير ١٩٧٤).

* عام ١٩٥٦ تزوج من قريبته المعلمة إقبال عبد الجليل وقد أنجبت له ولد وبنتين وهم (غيلان وآلاء وغيداء).

* عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين.

* في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٤ توفي في المستشفى الأميري بدولة الكويت بعد معاناة من مرض عضال في العظام ونقل جثمانه إلى البصرة حيث دفن في مقبرة الحسن البصري بالزبير.

* أقامت له حكومة ١٧ ـ ٣٠ تموز القومية تمثالاً ينتصب في شارع رئيسي من محافظة البصرة ـ العشار. . مدينته التي كان يعشقها[1]. .

عرفتُ السياب شخصياً، وتحدثتُ معه، وكانت لي معه لقاءات

---

(١) من أرشيف الأديب خضر الولي.

نشرتها في صحيفة القادسية وعنوان إحدى تلك المقالات (كيف عرفت السياب) وهي فصل من فصول كتابي (دراسات في الشعر العراقي الحديث) الصادر في بيروت سنة ١٩٩٣م.

اعتبر السياب أحد المنعطفات المهمة في مسيرة الشعر العربي المعاصر. وقد قام بدور كبير في تطوير مسار الشعر العربي الحديث نحو قمة الخلق والإبداع سواء في الشكل أو المضمون، وقد وجد في الأسطورة والرمز خير مساعد للتعبير عنها.

من الخصائص التي تميّز بها السياب أنه كان قادراً على الدمج بين قضايا الإنسان عامة والقضية العربية بخاصة، على نحو يبقى دائماً مهماً وفاعلاً، معنياً بمآسي الأمة العربية، ومؤمناً بأنَّ هذه المآسي والآلام ستنتهي إلى دفع الأمة إلى النهوض والتحرر، قادرة على الخصب والعطاء.

والخاصية الثانية هي أن شعره حافل بالشمولية الكونية التي تميز بها الشعر الكبير. وستكتشف هذه الناحية عن نواحٍ لم تنته إليها في شعره.

أما الخاصية الثالثة فهي أن شعر السياب إضافة إلى كونه شخصانياً وقومياً وسياسياً وعراقياً، فإنه أيضاً شعر يكاد يكون دينياً، شعر يبدأ بالحياة ويخترق الموت إلى الحياة.

يقول الدكتور خليل حاوي في مقال يفتتح به العدد الخاص بالسياب في مجلة الآداب: «لقد وعى أزمات الإنسان في عصره وبيئته، وعى تجربة ورؤيا وثقافة معتدلة لم تصبه بعسر الهضم، فتقتل فيه عامل الفطرة، عامل الاتصال بالينابيع والحقائق الأولية[1]».

أستطيع القول أن شعر السياب وجع وقضية وجود، فهو عندما يكتب

---

(١) مجلة (الآداب) اللبنانية ـ شباط (فبراير) ١٩٦٥م السنة ١٣، ص١ ـ ٢.

ينتزع كلماته من لهيب ذاته، من خلجاته الجريحة المعذبة بالهم العربي الذي ما فتىء يعذبنا جميعاً.

دواوينه المطبوعة:

١ ـ أزهار ذابلة ـ صدر عام ١٩٤٧ في القاهرة، قدم له روفائيل بطي، يشتمل على ٢٥ قصيدة من بينها قصيدة (هل كان حباً؟) التي تعد أول محاولة للشاعر في مجال الشعر الحر.

٢ ـ أساطير، صدر عام ١٩٥٠ فيبغداد قدم له الشاعر نفسه بمقدمة تدرس حركة الشعر، وتكشف عن ملابسات بعض قصائد الديوان لا سيما علاقته مع الشاعرة لميعة عباس عمارة. يتضمن الديوان ٢٦ قصيدة بينها عشر قصائد نظمت على طريقة الشعر الحر.

٣ ـ حفار القبور ـ قصيدة مطولة كتبها الشاعر سنة ١٩٥٢ ونشرت في بغداد.

٤ ـ فجر السلام ـ مطولة كتبها الشاعر سنة ١٩٥٠ وشنرت في بغداد.

٥ ـ الأسلحة والأطفال ـ مطولة كتبها الشاعر سنة ١٩٥٣ وصدرت سنة ١٩٥٤ في بغداد.

٦ ـ المومس العمياء ـ مطولة كتبها الشاعر سنة ١٩٥٣ وصدرت سنة ١٩٥٤ في بغداد.

٧ ـ أنشودة المطر ـ صدر عام ١٩٦٠ في بيروت. ويعد هذا الديوان أعظم دواوين الشاعر أثراً في إثراء حركة الشعر الحر.

٨ ـ المعبد الغريق ـ صدر عام ١٩٦٢ في بيروت. ويشتمل أوائل القصائد التي نظمها الشاعر عن مرضه. يتضمن ٢٥ قصيدة.

٩ ـ منزل الأقنان ـ صدر عام ١٩٦٣ في بيروت. يتضمن ٢٨ قصيدة.

١٠ ـ شناشيل ابنة الجلبي ـ صدر عام ١٩٦٤ في بيروت قبل وفاة الشاعر بأيام، ويتضمن ٢٥ قصيدة.

وصدرت للشاعر بعد وفاته المجاميع التالية:

١١ ـ إقبال ـ صدر عام ١٩٦٥ في بيروت، جمعها وقدم لها الأستاذ ناجي علوش

١٢ ـ قيثارة الريح ـ صدر عام ١٩٧١ في بغداد.

١٣ ـ أعاصير ـ صدر عام ١٩٧٣ في بغداد.

١٤ ـ الهدايا ـ صدر عام ١٩٧٤ في بيروت.

١٥ ـ البواكير ـ صدر عام ١٩٧٤ في بيروت[١].

وصدرت عنه عدة دراسات نقدية تناولت سيرة حياته وشعره، وترجمت معظم قصائده إلى لغات عالمية.

دراسات كتبت عن السياب

١ ـ بدر شاكر السياب: إيليا حاوي (بيروت ١٩٧٤) ٤ أجزاء.

٢ ـ بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق: محمود العبطة (بغداد ١٩٦٥).

٣ ـ السياب شاعراً: علي مهدي زيتون (بيروت ١٩٩٦).

٤ ـ الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب: أحمد عودة الله الشقيرات (الأردن ١٩٨٧).

٥ ـ السياب في مؤلفاته ومصادر دراستها؛ د. صباح نوري المرزوك (الحلة ١٩٧٤).

---

(١) السياب شاعراً: د. علي مهدي زيتون ص١٩ و٢٠.

٦ ـ السياب في ذكراه السادسة؛ محفوظ داود سلمان (بغداد ١٩٧١).

٧ ـ السياب: عبد الجبار عباس (بغداد ١٩٧٤).

٨ ـ بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر: عبد الجبار داود البصري (بغداد ١٩٦٦).

٩ ـ مواقف في شعر السياب: قيس كاظم الجنابي (بغداد ١٩٨٨).

١٠ ـ بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره: د. إحسان عباس (بيروت ١٩٧٢).

١١ ـ رسائل السياب: ماجد صالح السامرائي (بيروت ١٩٧٥).

١٢ ـ ٤٧ قصيدة للسياب بخط يده: محمد صالح عبد الرضا (بغداد ١٩٩٠).

١٣ ـ بدر شاكر السياب حياته وشعره: عيسى بلاطة (بغداد ١٩٨٧).

مختارات من شعره:

هل كان حباً؟

هل تسمّين الذي ألقى هياما؟
. . . . . أم غراما؟
ما يكون الحب؟! نوحاً وابتساما؟
أم خفوق الأضلع الحرى، إذا حان التلاقي
بين عينينا . . فأطرقت، فراراً باشتياقي
عن سماء ليس تسقيني، إذا ما
جئتها مستسقياً، إلا أواما[1]؟

هل يكون الحب أنى
بت عبداً للتمني!؟
أم هو الحب أطّراح الأمنيات
والتقاء الثغر بالثغر، ونسيان الحياة؟
واختفاء العين في العين انتشاءا
كانثيال عاد يفنى في هدير
أو كظل في غدير . . .

أمس . . بالأمس التقينا في سفار

---

(١) عطشاً.

هاج ذكرى كاد ينساها وينساني زماني،
كان يوم فك عن ساعاته غل المدار[1]،
ثم أمسى تحت أقدام الليالي،
مثل جرح في الرمال
داسه الركب وسارا . .

يومك المموق . . لا يوم تقضى قبل عام،
فاسمعيني، فالأماني كلها أن تسمعيني :
أذكرتني فرحة اللقيا بصهبائي وجامي،
آن أن تحسى على نخب العيون!
بت أسقاها دهاقا
أحسب الشرب اعتناقا
بيننا، هل كان حباً ما أعاني؟!

العيون الحور، لو أصبحن ظلاً في شرابي
جفت الأقداح في أيدي صحابي
دون أن يحظين حتى بالحباب،
هيئي يا كأس من حافاتك السكرى مكانا
تتلاقى فيه يوماً شفتانا
في خفوق والتهاب

---

(١) في هذه القصيدة محاولة جديدة، في الشعر المختلف الأوزان والقوافي، وهي كأغلب الشعر الغربي (وخاصة الانكليزي) تجمع بني بحر من البحور ومجزوآته أي أن التفاعيل ذات النوع الواحد يختلف عددها من بيت إلى آخر . . (السياب)

وابتعاد شاع في آفاقه ظل اقتراب!

أهي حب كل هاتيك الأماني؟
أم رؤى سكران مجنون اللغى طلق المعاني[1]،
غارق الألحاظ في غور من الأقداح . . ناء،
راسم بالأصبع الحمقاء، في عرض الفضاء،
كل أسماء الحبيبات الحسان.
كلما نادى . . أتاه الساقيان
بالطلى آناً . . وآناً بالأغاني؟

كم تمنى قلبي المكلوم لو لم تستجيبي
من بعيد للهوى أو من قريب
آه لو لم تعرفي، قبل التلاقي، من حبيب!
أي ثغر مسَّ هاتيك الشفاها
ساكباً شكواه آهاً ثم آها؟؟
غير أني جاهل معنى سؤالي عن هواها . .
أهو شيء من هواها، ، يا هواها؟!

أحسد الضوء الطروبا
موشكاً، مما يلاقي، أن يذوبا

(١) همست صاحبتها في أذنها «لقد أحبك الشاعر»، فقالت «أبهذه السرعة؟ لا أصدق . . إنه أثر الخمرة والغناء». (السياب)

في رباط أوسع الشعر التئاما
السماء البكر من ألوانه آناً وآنا
لا ينيل الطرف إلا أرجوانا،
ليت قلبي معه من ذلك الضوء السجين،
أهو حب كل هذا؟؟ خبريني!

بغداد: ٢٩/ ١١/ ١٩٤٦

اللقاء الأخير[1]

والتف حولك ساعداي ومال جيدك في اشتهاء
كالزهرة الوسنى ـ فما أحسست إلا والشفاه
فوق الشفاه . . وللمساء
عطر يضوع فتسكرين به وأسكر من شذاه
في الجيد والفم والذراع
فأغيب في أفق بعيد مثلما ذاب الشراع
في أرجوان الشاطىء النائي وأوغل في مداه

* * *

شفتاك في شفتي عالقتان ـ والنجم الضئيل
يلقى سناه على بقايا راعشات من عناق
يا نشوة غيرى ، واغفاء على ظل الفراق
ثم ارتخت عني يداك ، وأطبق الصمت الثقيل
حلواً كإغماء الفراشة من ذهول وانتشاء
دوماً إلى غير انتهاء

* * *

يا همسة فوق الشفاه

---

(١) مقاطع من قصيدة بهذا العنوان وهي من بواكير شعره الحديث مجموعة «أساطير ١٩٥٠».

ذابت فكانت شبه آه
يا سكرة مثل ارتجافات الغروب الهائمات
غرقى إلى غير انتهاء
مثل النجوم الآفلات

غريب على الخليج

الرّيح تلهثُ بالهجيرةِ، كالجثام، على الأصيلِ
وعلى القلوعِ تظلُّ تطوى أو تُنشَّرُ للرحيلِ

زحَمَ الخليجَ بهنَّ مكتدحون جوّابو بحارِ
من كل حافٍ نصف عاري
وعلى الرمال على الخليج
جلسَ الغريبُ، يسرّحُ البصَرَ المحيّر في الخليجِ
ويهدُّ أعمدةَ الضياءِ بما يصعّد بمن نشيجِ:
«أعلى من العبّاب يهدر رغوه ومن الضجيجِ
صوتٌ تفجّر في قرارةِ نفسي الثكلى: عراق،
كالمدّ يصعدُ، كالسحابةِ، كالدموع إلى العيون.
الريحُ تصرخُ بي: عراق،
والموجُ يعولُ بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق!
البحر أوسعُ ما يكون وأنتَ أبعد ما تكون
والبحر دونكَ يا عراق.
بالأمس حين مررتُ بالمقهى، سمعتكَ يا عراق...
وكنت دورة أسطوانه
هي دورة الأفلاك من عمري، تكدَّر لي زمانه

في لحظتين من الزمان، وإن تكن فقدت مكانه
هي وجهُ أمّي في الظلامِ
وصوتها، يتزلّقان مع الرؤى حتى أنام؛
وهي النخيلُ أخافُ منه إذا ادلهمَّ مع الغروب
فاكتظَّ بالأشباحِ تخطفُ كلّ طفلٍ لا يؤوب
من الدروب؛
وهي المفلية العجوز وما توشوشُ عن «حزامِ»[1]
وكيف شقَّ القبر عنه أمام «عفراء» الجميلة
فاحتازها إلاّ جديلة
زهراء، أنتِ.. أتذكرين
تنوّرنا الوهّاج تزحمه أكفُّ المصطلين؟
وحديثَ عمتيَ الخفيضَ عن الملوكِ الغابرين؟
ووراء بابٍ كالقضاء
قد أوصدته على النساء
أيدٍ تُطاع بما تشاء، لأنّها أيدي رجال ـ
كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال.
أفتذكرين؟ أتذكرين؟
سعداء كنّا قانعينَ
بذلك القصص الحزين لأنه قصص النساء.
حشدٌ من الحيواتِ والأزمان، كنّا عنفوانه،

---

(١) هكذا أصبح اسم الشاعر العاشق عروة بن الحزام عند العامة الذين يروون قصة حبّه لعفراء وموته ويردُّدون معاني قصيدته بشعرٍ عامي (السياب).

كنا مَداريْه اللذين يدور بينهما كيانه .
أفليس ذاك سوى هباء؟
حُلُم ودورة أسطوانه؟
إن كان هذا كل ما يبقى فأين هو العزاء؟
أحببتُ فيكِ عراق روحي أو حببتكِ أنتِ فيه ؛
يا أنتما ، مصباح روحي أنتما ـ وأتى المساء
والليل أطبقَ ، فلتشعّا في دجاه فلا أتيه .
لو جئتِ في البلدِ الغريب إليّ ما كمل اللقاء !
الملتقى بك والعراقُ على يديَّ . . هو اللقاء !
شوق يخضُّ دمي إليه ، كأنّ كل دمي اشتهاء ،
جوع إليه . . كجوعِ كلِّ دمِ الغريقِ إلى الهواء .
شوق الجنين إذا اشرأبَّ من الظلام إلى الولادة !
إني لأعجبُ كيف يمكن أن يخون الخائنون
أيخون إنسانٌ بلاده؟
إن خان معنى أن يكون ، فكيف يمكن أن يكون؟
الشمس أجمل في بلادي ، والظلامْ
ـ حتى الظلام ـ هناك أجملُ ، فهو يحتضن العراق .
واحسرتاه ، متى أنامْ
فأحسّ أنَّ على الوساده
من ليلك الصيفي طلاًّ فيه عطركَ يا عراق؟
بين القرى المتهيباتِ خطاي والمدنِ الغريبه
غنّيتُ تربتكَ الحبيبه ،
وحملتُها فأنا المسيحُ يجرُّ في المنفى صليبه ،

فسمعتُ وقع خطى الجياع تسيرُ، تدمى من عُثار
فتذرّ في عينيَّ، منكَ ومن مناسمها، غبار.
ما زلتُ أضربُ، مُتربَ القدمين أشعثَ، في الدروب
تحت الشموس الأجنبيّه،
متخافق الأطمار، أبسط بالسؤالِ يداً نديّه
صفراء من ذُلّ وحمّى: ذلّ شحّاذٍ غريبِ
بين العيون الأجنبيّه،
بين احتقارٍ، وانتهارٍ، وازورارٍ.. أو «خطيّه»[1]
والموتُ أهونُ من «خطيّه»،
من ذلك الاشفاق تعصره العيون الأجنبيّه
قطرات ماءٍ.. معدنيّه!
فلتنطفي، يا أنتِ، يا قطراتُ، يا دمُ، يا.. نقودُ،
يا ريح، يا إبراً تخيط لي الشراع ـ متى أعودُ
يا لمعةَ الأمواجِ رنحهنّ مجدافٌ يرودُ
بي الخليجَ، ويا كواكبه الكبيرةَ، ، يا نقودُ!
ليت السفائن لا تقاضي راكبيها عن سِفارِ
أو ليتَ أنَّ الأرضَ كالأفقِ العريض، بلا بحارِ!
ما زلتُ أحسب يا نقود، أعدّكنّ وأستزيد،
ما زلتُ أُنقِصُ، يا نقود، بكنَّ من مُدَدِ اغترابي،
ما زلتُ أوقدُ بالتماعتكنّ نافذتي وبابي
في الضفة الأخرى هناكَ، فحدّثيني يا نقودُ

(١) كلمة إشفاق في اللهجة العراقية والكويتية الدارجة.

متى أعودُ؟ متى أعودُ؟
أتراه يأزفُ، قبل موتي، ذلك اليوم السعيدُ؟
سأفيق في ذاك الصباح، وفي السماء من السحابِ
كِسَرٌ، وفي النسمات بردٌ مشبع بعطور آبِ؛
وأزيحُ بالثُؤباء بقيا من نعاسي كالحجابِ
من الحرير، يشفُّ عمّا لا يبينُ وما يبينْ:
عما نسيتُ وكدتُ لا أنسى، وشكٌّ في يقين.
ويضيءُ لي ـ وأنا أمدّ يدي لألبَس من ثيابي ـ
ما كنتُ أبحثُ عنه في عتمات نفسي كالضبابِ؟
اليومَ ـ واندفق السرورُ عليَّ يفجأُني ـ أعودُ!
واحسرتاه.. فلن أعودَ إلى العراق!
وهل يعودْ
من كان تعوزه النقود؟ وكيف تُدّخر النقودُ
وأنت تأكل إذ تجوع؟ وأنتَ تنفق ما يجود به الكرام على الطعام؟
لتبكينَّ على العراقِ
فما لديك سوى الدموع
وسوى انتظارك، دون جدوى، للرياح وللقلوع

الكويت ١٩٥٣

مرحى غيلان

ـ «بابا . . . بابا . . . »
ينساب صوتك في الظلام إليَّ، كالمطرِ الغضيرِ،
ينسابُ من خَلل النُعاس وأنتَ ترقدُ في السريرِ.
من أيّ رؤيا جاء؟ أي سماوةٍ؟ أيّ انطلاقِ؟
. . . وأظلّ أسبحُ في رشاشٍ منه، أسبحُ في عبير.
فكأنَّ أودية العراقِ
فتحت نوافذَ من رؤاكَ على سهادي: كلُّ وادِ
وهبته عشتارُ الأزاهرَ والثمار. كأنّ روحي
في تربةِ الظلماءِ حبّةُ حنطةٍ وصداكَ ماءُ.
أعلنتِ بعثي يا سماءُ.
هذا خلودي في الحياة تكنُّ معناه الدماءُ.
«بابا . . . » كأنّ يد المسيح
فيها، كأنّ جماجم الموتى تبرعمُ في الضريحِ.
تمّوز عاد بكلّ سنبلةٍ تُعابثُ كلّ ريحِ.
«بابا . . . بابا . . . »
أنا في قرار بويبَ[1] أرقدُ، في فراشٍ من رماله،
من طينه المعطورِ، والدم في عروقي في زلالهِ

---

(١) بويب: نهر في قرية الشاعر.

ينثال كي يهب الحياة لكل أعراق النخيلِ .
أنا بعْلُ : أخطرُ في الجليل . . .
على المياه ، أنثُ في الورقات روحي والثمارِ
والماء يهمس بالخرير ، يصلّ حولي بالمحارِ
وأنا بويبُ أذوب في فرحي وأرقد في قراري .
«بابا . . . بابا . . . »
يا سُلّم الأنغامِ أيّةُ رغبةٍ هي في قرارك؟
«سيزيف» يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك
يا سُلّم الدم والزمان : من المياه إلى السماءِ
غيلان يصعد فيه نحوي . من تراب أبي وجدّي
ويداه تلتمسان ، ثَمَّ ، يدي وتحتضنان خدّي
فأرى ابتدائي في انتهائي .
«بابا . . . بابا . . . »
جيكور[1] من شفتيكَ ، تولد ، من دمائكَ ، في دمائي
فتحيل أعمدة المدينه
أشجار توتٍ في الربيع . ومن شوارعها الحزينهْ
تتفجّر الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينه
ورقَ البراعم وهو يكبر أو يمصّ ندى الصباحِ
والنُّسغَ في الشجرات يهمُس ، والسنابلَ في الرياحِ
تعدُّ الرّحى بطعامهنّ .
كأنّ أوردة السماءِ

---

(١) جيكور : قرية الشاعر في جنوب العراق .

تتنفّس الدمَ في عروقي والكواكب في دمائي .
يا ظلّيَ الممتدَّ حين أموتُ ، يا ميلاد عمري من جديد :
الأرض (يا قفصاً من الدمِ والأظافر والحديدِ
حيث المسيح يظلُّ ليس يموت أو يحيا . . كظلِّ ،
كيدٍ بلا عصبٍ ، كهيكل ميتٍ ، كضحى الجليدِ ،
النور والظلماء فيه متاهتان بلا حدود)
عشتارُ فيها دون بَعْلِ
والموت يركض في شوارعها ويهتف : يا نيامُ
هبّوا ، فقد ولد الظلامُ[1]
وأنا المسيحُ . أنا السلامُ .
والنار تصرخ : يا ورود تفتحي ، ولد الربيعُ
وأنا الفرات ، ويا شموعُ
رشّي ضريح البعل بالدم والهباب وبالشحوبِ .
والشمس تعولُ في الدروب :
بردانةٌ أنا والسماء تنوء بالسحب الجليد .
«بابا . . . بابا . . . »
من أيّ شمسٍ جاء دفؤك أيّ نجمٍ في السماء؟
ينسلّ للقفص الحديدِ ، فيورق الغدُ في دمائي؟

---

(١) كان كهنة ايزيس ينطلقون ، في منتصف ليلة ٢٥ كانون الأول من كل عام ، هاتفين في شوارع الاسكندرية : لقد وضعت العذراء حملها وقد ولدت الشمس . (السياب)

أنشودة المطر[1]

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السّحَرْ،
أو شرفتان راحَ ينأى عنهما القمر.
عيناكِ حين تبسمان تورقُ الكرومْ
وترقصُ الأضواء... كالأقمار في نَهْر
يرجّه المجذاف وهناً ساعة السّحَرْ
كأنّما تنبضُ في غوريهما النجومْ...
وتغرقانِ في ضبابٍ من أسىً شفيفْ
كالبحرِ سرّحَ اليدين فوقه المساء،
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،
والموت، والميلاد، والظلام، والضياء؛
فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاء
ونشوةٌ وحشيّةٌ تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خافَ من القمر!
كأنّ أقواس السحاب تشرب الغيومْ
وقطرةٌ فقطرةٌ تذوبُ في المطر...
وكركر الأطفال في عرائش الكروم
ودغدغت صمت العصافير على الشجر

---

(١) مقاطع مختارة من هذه القصيدة.

أنشودةُ المطر . . .
مطر . . .
مطر . . .
مطر . . .
تثاءبَ السماءُ والغيومُ ما تزالْ
تسحُّ ما تسحُّ من دموعها الثِقالْ .
كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :
بأنّ أمّه ـ التي أفاق منذ عامْ
فلم يجدها ، ثم حين لجَّ في السؤال
قالوا له : «بعد غدٍ تعودْ . . »ـ
لا بدّ أن تعود
وإن تهامس الرفاق أنها هناك
في جانب التلّ تنام نومة اللحودْ
تسفّ من ترابها وتشرب المطر ؛
كأنّ صياداً حزيناً يجمع الشباك
ويلعنُ المياه والقدر
وينثر الغناء حيث يأفل القمرْ .
مطر . . .
مطر . . .
أتعلمين أيّ حزنٍ يبعث المطر؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع؟
بلا انتهاء ـ كالدم المراق ، كالجياع ،

كالحب، كالأطفال، كالموتى ـ هو المطر!.
ومقلتاكِ بي تطيفان مع المطر
وعبر أمواج الخليج تمسح البروقْ
سواحلَ العراق بالنجوم والمحار،
كأنها تهمّ بالشروق
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارْ.
أصيحُ بالخليجِ: «يا خليجْ
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى!»
فيرجعُ الصدى
كأنه النشيجْ:
«يا خليج
يا واهب المحار والردى..»
ويخزن البروق في السهول والجبالْ،
حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ.
أكاد أسمع النخيل يشرب المطر
وأسمع القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع،
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
مطر...
مطر...
مطر...

مدينة بلا مطر

مدينتنا تؤرّقُ ليلها نارٌ بلا لهبِ
تُحمُّ دروبُها والدور، ثم تزول حمَّاها
ويصبغها الغروبُ بكل ما حملتْه من سُحبِ
فتوشكُ أن تطير شرارةٌ ويهبُّ موتاها:
«صحا من نومه الطينيّ تحت عرائش العِنبِ..
صحا تموزُ، عاد لبابلَ الخضراء يرعاها».
وتوشك أن تدقَّ طبولُ بابلَ، ثم يغشاها
صفيرُ الريح في أبراجها وأنينُ مرضاها.
وفي غرفات عُشتارِ
تظل مجامر الفخار خاويةً بلا نارِ،
ويرتفع الدعاءُ، كأن كل حناجر القَصَبِ
من المستنقعات تصيح:
«لاهثةً من التعَبِ
تؤوب إلهةُ الدم، خُبزُ بابل، شمسُ آذارِ،
ونحن نهيمُ كالغرباءِ من دارٍ إلى دارِ
لنسأل عن هداياها
جياع نحن.. واأسفاه! فارغتان كفاها،
وقاسيتان عيناها،

وباردتان كالذهب .
سحائبُ مرعداتٌ مبرقاتٌ دون أمطارِ
قضينا العامَ، بعد العام، بعد العام، نرعاها،
وريحٌ تشبه الإعصار، لا مرت كإعصار
ولا هدأت ـ ننام ونستفيق ونحن نخشاها
فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمه،
عيونكم الحجار تحسُّها تنداح في العتمه
لترجمنا بلا نقمه،
تدور كأنهنّ رحىً بطيئاتٌ تلوك جفوننا . .
حتى ألفناها،
عيونكم الحجار كأنها لَبِنَاتُ أسوارِ
بأيدينا، بما لا تفعل الأيدي، بنيناها .
عذارانا حزانى ذاهلات حول عشتارِ
يغيض الماء شيئاً بعد شيء من محياها،
وغصناً بعد غصنٍ تذبل الكرمه
بطيءٌ موتنا المنسلُّ بين النور والظلمه،
له الويلات من أسدٍ نكابد شوقه الأدردْ!
أنار البرق في عينيه أم من شعلة المعبد؟
أفي عينيه مبخرتان أوجرتا لعشتار؟
أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود:
هنالك حيث يحمل، كل عام، جرحه الناري
جرحَ العالم الدوار، فاديهِ
ومنفذه الذي في كل عام من هناك يعود بالأزهارِ

والأمطار ـ تجرحنا يداه لتستفيق على أياديهِ؟
ولكن مرت الأعوام، كثراً ما حسبناها،
بلا مطرٍ . . ولو قطره
ولا زهر . . ولا زهره
بلا ثمر ـ كأن نخيلنا الجرداء أنصاب أقمناها
لنذبل تحتها ونموت .
سيدنا حفانا آه يا قبره
أما فينا بقايا من دماء الرب . . أو بذره؟
حدائقه الصغيرة أمس جعنا فافتر سناها :
سرقنا من بيوت النمل، من أجرانها، دخناً وشوفانا
وأوشاباً زرعناها
فوفّينا ـ وما وفّى لنا ـ نذره ! »
وسار صغار بابل يحملون سلال صبَّارِ
وفاكهةٍ من الفخار، قرباناً لعشتارِ
ويشعل خاطفُ البرق،
بظلٍ من ظلال الماءِ والخضراء والنار،
وجوههم المدورة الصغيرة وهي تستسقي .
فيوشك أن يفتّحَ ـ وهي تومض ـ حقل نوّارِ
ورفَّ ـ كأنَّ ألف فراشةٍ نُثرت على الأفقِ
نشيدهم الصغيرُ :
«قبور إخوتنا تنادينا
وتبحث عنكِ أيدينا
لأنَّ الخوف ملءُ قلوبنا، ورياحَ آذار

تهزُّ مهودنا فنخاف . والأصواتُ تدعونا ،
جياع نحن مرتجفون في الظلمة
ونبحث عن يدٍ في الليل تُطعمنا ، تغطّينا ،
نشد عليوننا المتلفّتات بزندها العاري .
ونبحث عنكِ في الظلماء ، عن ثديين ، عن حُلْمه
فيا مَنْ صدرها الأفق الكبير وثديها الغيمه
سمعتِ نشيجنا ورأيت كيف نموت . . فأسقينا !
نموت ، وأنتِ ـ واأسفاه ـ قاسية بلا رحمه
فيا آباءنا ، من يفتدينا؟ من سيُحيينا؟
ومن سيموت : يُولم لحمه فينا؟»
وأبرقت السماءُ كأنَّ زنبقةً من النار
تفتَّح فوق بابل نفسها ، وأضاء وادينا ،
وغلغل في قرارة أرضنا وهجٌ فعرَّاها
بكل بذورها وجذورها وبكل موتاها ،
وسحَّ ـ وراء ما رفعتْه بابلُ حول حُمَّاها
وحول ترابها الظمآن ، من عمدٍ وأسوارِ
سحابٌ . . كان لولا هذه الأسوار روّاها !
وفي أيدٍ من الاصغاءِ بين الرعد والرعد
سمعنا ، لا حفيف النخل تحت العارض السحاح
أو ما وشوشتْه الريحُ حيث ابتلت الأدواحْ ،
ولكنْ خفقةَ الأقدام والأيدي
وكركرةً وآهَ صغيرةٍ قبضتْ بيمناها
على قمرٍ يرفرف كالفراشةِ ، أو على نجمه . .

على هبةٍ من الغيمه،
على رعشاتِ ماءٍ، قطرةٌ همست بها نسمه
لنعلم أن بابل سوف تُغسل من خطاياها!

١٩٥٤

الغيمة الغريبة

المومس الأجيرة الحقيرة
أكثر من حبيبتي سخاءا،
أتيتها مساءا
معانقاً . . أعانق الهواءا
هبّ من القطب على الظهيره،
مقبّلاً عيونها الخواءا،
كأنني كيشوت في الأصيل
يركض خلف ظله الطويل
ويطعن السنابل الكسيره
يظنها الأعداءا .
ضممت منها جثةً بيضاءا
تكفنت من داخل، وقبرها
في جوفها تناءى .
حملت منها صخرةً صماءا
تشدني إلى الثرى،
أرفعها لتلثم الجوزاءا .
الحب أن تبذل، أن تنال ما تريدُ
كالنبع إذّ يدفق، لا كالبئرِ،
كالنار تطوي نحوك السماءا

لا شرر الزناد .
استزيدُ
فألتقي دمي . كغيمة تعيد نفسها للبحر .
أتعلم السحابة المرعدة المبرقة المجلجله
بأن ماءها سيستحيل غيمة إليها مقبله ،
تبذله في الفجر
وتلتقي به قبيل العصر؟
أريد أن أضمّ ، أن أقبّل
الدم الذي ينبض في الشفاه
كأنما القلب الذي يقبّلُ .
الجسد الموات لا يحس شهقة الإله
تغور كالمدية حين تقتل
فتبعث الحياة في القتيل .
أريد أن أحرق كالحريق من أخيلِ :
في القلب واليدين والكعبينِ
ويأكل النارَ لظىً في عيني .
لو كان ما تحسه الحبيبه
الألم ، الدوارَ . . لا الخواءا
ما كنت مثل غيمة غريبه
تُرعد حتى تشعل الهواءا
رعداً
وتأبى الأرضُ أنْ تجيبه

١٩٦١

نازك الملائكة

الشاعرة المبدعة المجددة السيدة نازك الملائكة ولدت وسط عائلة كلها تكتب الشعر والنقد والترجمة، فوالدتها الشاعرة أم نزار الملائكة ووالدها الشاعر صادق الملائكة وشقيقها نزار الملائكة هو الآخر شاعر ويجيد الكتابة ونظم الشعر بسبع لغات عالمية وكان يشرف في المانيا على إصدار مجلة (فكر وفن) الشهرية والمعروفة بقيمتها العلمية والثقافية حيث طباعتها الحديثة الرائعة. ولدت في بغداد عام ١٩٢٣ وتخرجت في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٤، وفي عام ١٩٤٩ تخرجت في معهد الفنون الجميلة «فرع العود»، ولم تتوقف في دراستها الأدبية والفنية إلى هذا الحد، إذ درست اللغة اللاتينية في جامعة برستن في الولايات المتحدة الأميركية، وكذلك درست اللغة الفرنسية والإنكليزية وأتقنت اللغة الأخيرة وترجمت بعض الأعمال الأدبية عنها، وفي عام ١٩٥٩ عادت إلى بغداد بعد أن قضت عدة سنوات في أميركا لتتجه إلى انشغالاتها الأدبية في مجالي الشعر والنقد، بيد أنها التحقت عام ١٩٥٤ بالبعثة العراقية إلى جامعة وسكونسن لدراسة الأدب المقارن، وقد ساعدتها دراستها هذه المرة للاطلاع على أحدث فنون الآداب العالمية، فإضافة لتمرسها بالآداب الإنكليزية والفرنسية فقد اطلعت على الأدب الألماني والأمريكي والإيطالي والروسي والصيني والهندي.

اشتغلت بالتدريس في كلية التربية ببغداد منذ عام ١٩٥٧ وخلال عامي ٥٩ و١٩٦٠ تركت العراق لتقيم في بيروت وهناك أخذت تنشر نتاجاتها الشعرية

الشعريةوالنقدية، ثم عادت إلى العراق لتدرس اللغة العربية وآدابها في جامعة البصرة إلى أن التحقت للعمل في جامعة الكويت. وقد اقترنت بالأستاذ الدكتور عبد الهادي محبوبة وأنجبت ولدها (براق) وهو دكتور بالآداب الأجنبية حيث درس في نفس الجامعة التي درست فيها والدته في أمريكا.

تكاد تكون نازك الملائكة رائدة للشعر الحديث بالرغم من أن مسألة السبق في «الريادة» لم تحسم بعد بينها وبين بدر شاكر السياب، ولكن نازك نفسها تؤكد على تقدمها في هذا المجال عندما تذكر في كتابها «قضايا الشعر المعاصر» بأنها أول من قال قصيدة الشعر الحر، في قصيدة «الكوليرا» عام ١٩٤٧. أما الثاني - في رأيها - فهو بدر شاكر السياب في ديوانه «أزهار ذابلة» الذي نشر في كانون الثاني من السنة نفسها.

التقيت الشاعرة نازك الملائكة في دارها بالمنصور ببغداد سنة ١٩٧١، وأشرت إلى ذلك سابقاً في كتابي (شاعرات العراق المعاصرات) المطبوع بدمشق سنة ١٩٩٥.

لنازك الملائكة العديد من المجاميع الشعرية والدراسات النقدية منها ما ضمها كتاب ومنها ما نشر في المجلات والصحف الأدبية، أما مجاميعها الشعرية فهي على التوالي:

- عاشقة الليل ١٩٤٧.
- شظايا ورماد ١٩٤٩.
- قرارة الموجة ١٩٥٧.
- شجرة القمر ١٩٦٨.
- مأساة الحياة وأغنية للإنسان «ملحمة شعرية» ١٩٧٠.

ولنازك الملائكة من الدراسات والدواوين الأخرى:

- شعر علي محمود طه ١٩٦٥.

ـ قضايا الشعر المعاصر ١٩٦٢ .

التجزيئية في المجتمع العربي ١٩٧٢ .

ـ سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى (بغداد ١٩٩٣) .

يغير ألوانه البحر شعر ١٩٧٧ .

للصلاة والثورة شعر ١٩٧٨ .

الشمس التي وراء القمة قصص (مخطوطة) .

ترقد الشاعرة اليوم بإحدى مستشفيات القاهرة (مصر) لمرض نفسي ألمّ بها ومنذ عشر سنوات . .

نالت العديد من الجوائز العالمية لشاعريتها المتوقدة وكشاعرة عراقية رائدة .

يكتنف شعر نازك الملائكة اليأس والألم والوحدة والغُربة والعيش مع ذكريات الماضي، وأغلب الموضوعات التي طرقتها تدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار، أما الحب الذي تلجأ إليه، فلعلّه يخفف من معاناتها، وهي تميل إلى الصوفية ميلاً عميقاً. وهي أجرأ شاعرة معاصرة خرجت بالشعر عن شكله القديم حيث تؤكد في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) أن غرضها هو تغيير النظام في بحور الخليل من حيث الشكل الخارجي مع المحافظة على الجوهر من حيث اعتماد التفعيلة، وأطلقت عليه تسمية (شعر العمود المطوَّر) حافظت فيه على الوزن والقافية .

مختارات من شعرها:

الثوليرا

سكَن الليلُ
أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنّاتْ
في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صرخاتٌ تعلو، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
يتعثَّر فيه صَدَى الآهاتْ
في كل فؤادٍ غليانُ
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ
في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُمات
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ
هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموت
طَلَع الفجرُ
أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشين
في صمتِ الفجْر، أصِخْ، أنظُرْ ركبَ الباكين
عشرةُ أمواتٍ، عشرونا
لا تُحصِ أصِخْ للباكينا

إسمعْ صوتَ الطِفْل المسكين
مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ
مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ
في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبهُ محزونْ
لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ
هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

ألكوليرا
في كَهْفِ الرُعْب مع الأشلاءْ
في صمْت الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءْ
إستيقظَ داءُ الكوليرا
حقْداً يتدفّقُ موتورا
هبطَ الواديْ المرِحَ الوُضّاءُ
يصرخُ مضطرباً مجنونا
لا يسمَعَ صوتَ الباكينا
في كلِّ مكانٍ خلَّفَ مخلبُهُ أصدا
في كوخ الفلاّحة في البيتْ
لا شيءَ سوى صرخات الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
في شخص الكوليرا القاسي ينتقمُ الموت

ألصمتُ مريرْ
لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ
حتّى حَفّارُ القبر ثَوَى لم يبقَ نَصِير
ألجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ
ألميّتُ من سيؤبّنُهُ
لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ
ألطفلُ بلا أمٍّ وأبِ
يبكي من قلبٍ ملتهِبِ

مرَّ القطار

الليل ممتد السكون إلى المدى
لا شيء يقطعه سوى صوت بليد
لحمامة حيرى وكلب ينبح النجم البعيد
والساعة البلهاء تلتهم الفدا
وهناك في بعض الجهات
مر القطار
عجلاته غزلت رجاءً؛ بتُّ أنتظر النهار
من أجله . . مرَّ القطار
وخبا بعيداً في السكون
خلف التلال النائيات
لم يبق في نفسي سوى رَجْعٍ وهُونْ
وأنا أحدق في النجوم الحالمات
أتخيل العربات والصف الطويل
من ساهرين ومتعبين
أتخيل الليل الثقيل
في أعين سئمت وجوه الراكبين
في ضوء مصباح القطار الباهتِ
سئمت مراقبة الظلام الصامتِ

أتصور الضجر المرير
في أنفس ملّت وأتعبها الصفير
هي والحقائب في انتظار
هي والحقائب تحت أكداس الغبار
تغفو دقائق ثم يوقظها القطار
ويطل بعض الراكبين
متثائباً نعسان في كسل يحدق في القفار
ويعود ينظر في وجوه الآخرين
في أوجه الغرباء يجمعهم قطار
ويكاد يغفو ثم يسمع في شرود
صوتاً يغمغم في برود
هذي العقارب لا تسير؟
كم مرَّ من هذا المساء؟ متى الوصول؟
وتدق ساعته ثلاثاً في ذهول
وهنا يقاطعه الصفير
ويلوح مصباح الخفير
ويلوح ضوء محطة عبر المساء
إذْ ذاك يتئذ القطار المجهد
. . . وفتى هنالك في انطواء
يأبى الرقاد ولم يزل يتنهّد
سهران يرتقب النجوم
في مقلتيه برودة خطّ الوجوم
أطرافها . . في وجهه لون غريب

ألقت عليه حرارة الإصلاح آثار احمرار
شفتاه في شبه افترار
عن شبه حلم يفرش الليل الجديب
بحفيف أجنحة خفيّات اللحون
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يطاق
هذا الفتى الضَجِر الحزين
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرين
شيئاً سوى اللغز القديم
والقصة الكبرى التي سئم الوجود
أبطالها وفصولها ومضى يراقب في برود
تكرارها البالي السقيم
هذا الفتى
وتمر أقدام الخفير
ويطل وجه عابس خلف الزجاج
وجه الخفير!
ويهز في يده السراج
فيرى الوجوه المتعبة
والنائمين وهم جلوس في القطار
والأعين المترقبة
في كل جفن صرخة باسم النهار
وتضيع أقدام الخفير الساهر
خلف الظلام الراكد
مرَّ القطار وضاع في قلب القفار

وبقيت وحدي أسأل الليل الشرود
عن شاعري ومتى يعود؟
ومتى يجيء به القطار؟
أتراه مرَّ به الخفير
ورآه لم يعبأ به . . كالآخرين
ومضى يسير
هو والسراج ويفحصان الراكبين
وأنا هنا ما زلت أرقب في انتظار
وأودُّ لو جاء القطار

الخيط المشدود في شجرة السرو

- ١ -

في سواد الشارع المظلم والصمت الأصمّ
حيث لا لون سوى لون الدياجي المدلهمّ
حيث يرخى شجر الدفلى أساهُ
فوق وجه الأرض ظلاًّ
قصّةٌ حدّثني صوتٌ بها ثم اضمحلاّ
وتلاشت في الدياجي شفتاه

- ٢ -

قصّة الحبّ الذي يحسبه قلبكَ ماتا
وهو ما زال انفجاراً وحياة
وغداً يعصركَ الشوق إليّا
وتناديني فتعيى،
تضغط الذكرى على صدركَ عبئا
من جنونٍ، ثم لا تلمس شيئا
أي شيء، حُلُم، لفظٌ رقيقُ
أي شيء، ويناديكَ الطريقُ
فتفيق.
ويراك الليلُ في الدرب وحيدا

تسأل الأمسَ البعيدا
أن يعودا
ويراك الشارع الحالم والدفلى، تسيرُ
لونَ عينيكَ انفعال وحبورُ
وعلى وجهكَ حبٌّ وشعورُ
كل ما في عمقِ أعماقكَ مرسومٌ هناكْ
وأنا نفسي أراكْ
من مكاني الداكن الساجي البعيدْ
وأرى الحلم السعيد
خلف عينيكِ يناديني كسيرا
. . . وترى البيت أخيرا
بيتنا، حيث التقينا
عندما كان هوانا ذلك الطفل الغريرا
وارتعاشات صباه في يدينا

- ٣ -

وترى البيتَ فتبقى لحظةً دون حراك:
«ها هو البيت كما كان، هناك
لم يزل تحجبه الدفلى ويحنو
فوقه النارنج والسرو الأغنُّ
وهنا مجلسنا . . .
ماذا أحسُّ؟
حيرة في عمقِ أعماقي وهمسُ
ونذير يتحدّى حلم قلبي

ربما كانت . . . ولكن فيمَ رعبي؟
هي ما زالت على عهد هوانا
هي ما زالت حنانا
وستلقاني تحاياها كما كنّا قديما
وستلقاني . . . » .

وتمشي مطمئناً هادئا
في الممر المظلم الساكن، تمشي هازئاً
بهتاف الهاجس المنذر بالوهمِ الكذوبِ :
«ها أنا عدتُ وقد فارقتُ أكداسَ ذنوبي
ها أنا ألمحُ عينيكِ تطلُّ
ربما كنتِ وراء الباب أو يخفيكِ ظلّ
ها أنا عدتُ، وهذا السلّمُ
هوذا الباب العميق اللون، ما لي أحجمُ؟
لحظةً ثم أراها
لحظة ثم أعي وقع خطاها
ليكن . . فلأطرقِ الباب . . . »

وتمضي لحظات
ويصرّ الباب في صوتٍ كئيب النبرات
وترى في ظلمة الدهليز وجهاً شاحباً
جامداً يعكس ظلاً غارباً :
«هل . . . ؟» ويخبو صوتُك المبحوح في نبرِ حزينْ
«لا تقولي إنها . . . »

«يا للجنونْ!

أيها الحالمُ، عمّن تسألُ؟
إنها ماتت!»

وتمضي لحظتانْ!
أنت ما زلت كأن لم تسمع الصوتَ المثيرْ
جامداً، ترمق أطراف المكان
شارداً، طرفك مشدود إلى خيطٍ صغير
شُدّ في السروة لا تدري متى؟
ولماذا؟ فهو ما كان هناك
منذ شهرين. وكادت شفتاك
تسأل الأخت عن الخيط الصغير
ولماذا علّقوه؟ ومتى؟
ويردُّ الصوتُ في سمعكَ: «ماتت..»
«إنها ماتت..». وترنو في برودِ
فترى الخيط حبالاً من جليدِ
عقدتها أذرع غابت ووارتها المنون
منذ آلاف القرون
وترى الوجه الحزين
ضخّمته سُحُبُ الرعب على عينيك. «ماتت..»

- ٤ -

هي «ماتت..»؟ لفظة من دون معنى
وصدى مطرقةٍ جوفاء يعلو ثم يفنى
ليس يعنيك تواليه الرتيبُ
كل ما تبصره الآن هو الخيط العجيبُ!

أتراها هي شدّته؟ ويعلو
ذلك الصوت المملُّ
صوتُ «ماتت» داوياً، لا يضمحلُّ
يملأ الليل صراخاً ودويّا
«إنها ماتت» صدىً يهمسه الصوت مليّاً
وهتاف ردّدته الظلماتُ
وروته شجرات السرو في صوتٍ عميقِ
«إنها ماتت» وهذا ما تقول العاصفاتُ
«إنها ماتت» صدى يصرخُ في النجمِ السحيقِ
وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروقِ

- ٥ -

صوتُ «ماتت» رنَّ في كلّ مكانِ
هذه المطرقة الجوفاء في سمع الزمانِ
صوت «ماتت» خانق كالأفعوانِ
كلّ حرفٍ عَصَب يلهثُ في صدركَ رعبا
ورؤى مشنقةٍ حمراء لا تملك قلبا
وتجنّي مخلبٍ مختلجٍ ينهشُ نهشا
وصدى صوتٍ جحيميّ أجشّا
هذه المطرقة الجوفاء: «ماتت»
هي ماتت، وخلا العالم منها
وسدىً ما تسأل الظلمة عنها
وسدى تصغي إلى وقع خطاها
وسدى تبحث عنها في القمرْ

وسدى تحلم يوماً أن تراها
في مكانٍ غير أقباء الذِكَرْ
إنها غابت وراء الأنجمِ
واستحالت ومضةً من حُلُمِ

- ٦ -

ثم ها أنتَ هنا، دون حراك
متعباً، توشك أن تنهار في أرضِ الممرّ
طرفك الحائر مشدود هناك
عند خيطٍ شُدّ في السروةِ، يطوي ألف سرّ
ذلك الخيط الغريبْ
ذلك اللغز المريبْ
إنه كل بقايا حبّك الذاوي الكئيب

- ٧ -

ويراكَ الليل تمشي عائدا
في يديك الخيطُ، والرعشةُ، والعِرْق المدويّ
«إنها ماتت. .» وتمضي شارداً
عابثاً بالخيط تطويه وتلوي
حول إبهامك أخراه، فلا شيء سواهُ
كل ما أبقى لكَ الحبُّ العميقُ
هو هذا الخيط واللفظ الصفيقُ
لفظ «ماتت». وانطوى كل هتافٍ ما عداهُ!

١٩٤٨

إلى العام الجديد

يا عام لا تقرب مساكننا فنحن هنا طيوفْ
من عالم الأشباح، يُنكرنا البشَرْ
ويفرُّ منا الليلُ والماضي ويجهلنا القَدَرْ
ونعيش أشباحاً تطوفْ
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم، لا أشواق تُشرقُ، لا مُنى
آفاقُ أعيننا رَمادْ
تلك البحيرات الرواكد في الوجوه الصامتة
ولنا الجباه الساكتة
لا نبضَ فيها، لا اتقاد
نحن العزاة من الشعور، ذوو الشفاه الباهتة
الهاربون من الزمان إلى العدمْ
الجاهلون أسى النَدمْ
نحن الذين نعيش في ترف القصور
ونظل ينقصنا الشعور
لا ذكريات،
نحيا ولا ندري الحياة،
نحيا ولا نشكو، ونجهل ما البكاء

ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء.
يا عامْ سِرْ، هوذا الطريق
يلوي خطاك، سدىً نؤمّلُ أن تُفيق
نحن الذين لهم عروق من قصبْ
بيضاء أو خضراء، نحن بلا شعور
الحزن نجهله ونجهل ما الغضب
ما قولهم إنَّ الضمائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبورْ
ونود لو عرف الزمان
يوماً إلينا دربه كالآخرين
لو إننا كنا نؤرخ بالسنين،
أو إننا كنا نفيدُ بالمكانْ،
لو أن أبواب القصور الشاهقاتْ
كانت تجيء قلوبنا بسوى الهواءْ،
لو أننا كنا نسير مع الحياة
نمشي، نُحِسّ، نرى، ننام
وينالنا ثلجُ الشتاءْ
ويلفُّ جبهتنا الظلام
أواه لو كنا نحس كما يحس الآخرون

١٩٥٠

عبد الوهاب البياتي

البياتي شاعر كبير ذو أصالة وقوة وتأثير على الوجدان العربي كله.

ولد عام ١٩٢٦ في مدينة بغداد. مثقف ثقافة معاصرة جيدة، ويعي عمله الشعري ويدرك بعمق رسالته الإنسانية لذلك يشارك دائماً في التعبير عن التجارب الكبيرة لجيلنا الحاضر بطريقة خاصة متميزة، وهو من أسرة عربية محافظة يزاول عميدها مهنة الأمامة في أحد مساجد بغداد.

تخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ حيث عمل بعد ذلك مدرساً في ثانوية الرمادي ومتوسطة العرفان ببغداد، ولكنه لم يلبث أن فصل من الوظيفة عام ١٩٥٣ وتعرض للاعتقال نتيجة لمواقفه الوطنية، وأثر العدوان الثلاثي على القطر المصري غادر العراق إلى سوريا ولبنان واستقر أخيراً في القاهرة حيث عمل محرراً في جريدة الجمهورية المصرية. وأثر ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ عاد إلى العراق حيث اشتغل مديراً للتأليف والترجمة في وزارة التربية، ثم مستشاراً ثقافياً في السفارة العراقية في موسكو. ولكنه لم يلبث أن ترك عمله وتنقل بين عدة دول اشتراكية ثم عاد إلى مصر مرة أخرى، وكان قبل ذلك قد اشتغل محاضراً في جامعة موسكو، معهد شعوب آسيا عام ١٩٦١.

عاد إلى وطنه العراق إثر قيام ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ وعين

مستشاراً ثقافياً في وزارة الاعلام. أسهم في إغناء القصيدة العربية وتطويرها، وله مع آخرين الإسهام الجليل في الريادة.

أما عن شخصيته فلا أستطيع أن أعلق عليها، لأني لا أعرفه شخصياً، وكتب عنه رجاء النقاش الناقد المصري المعروف في مجلة (الوطن العربي) العدد ١١٩٤ (٢١/ ٢/ ٢٠٠٠م) يقول: (وظروف البياتي بصورة عامة كانت صعبة وقاسية، واغترابه ورحيله من مدينة إلى أخرى ومن بلد إلى بلد في معظم سنوات عمره يفسران ما كان في شخصيته من مرارة ونزعة هجائية للناس والحياة السياسية العربية في عصرنا، وهو عصر البياتي، مليئة بالعواصف والمخاطر، ومن يعيش في هذه الظروف المضطربة لا يمكننا أن ننتظر منه أن يكون ملاكاً، ولا حتى أن يكون إنساناً سوياً، فالحياة السياسية العربية قاسية جداً، والأمان فيها مفقود، والأدباء والمفكرون يعيشون فوق المسرح ولا يختفون في زحام الجماهير، ولذلك فإنَّ النيل منهم سهل وسريع...).

وقال أيضاً: (فليس البياتي وحده هو الذي كانت له جوانب ضعف فكلنا نعاني هذه الجوانب بصورة أو بأخرى، والسبب هو الضغوط العنيفة التي تعصف بالعالم العربي في عصرنا الحالي، والفرق الوحيد أن البعض يصبرون على آلامهم صبراً شديداً، والبعض الآخر لا يطيقون الصبر..).

كتب عنه الكثير من النقاد العرب والأجانب وبعدة لغات وأعدت عنه عدة رسائل جامعية في الدول العربية وخارجها، والبياتي ثالث اثنين من رواد الشعر العربي الحديث «نازك الملائكة، بدر شاكر السيّاب، عبد الوهاب البياتي» فقد قفز الشعر الحر في الوطن العربي على أيدي هؤلاء الرواد بعد أن كان الشعر العربي يعتمد النمط الكلاسيكي ذا الأبحر والتفاعيل المحدودة، والبياتي بعد ذلك يمتلك نزعة صوفية تفرد بها نمّها لديه كثرة أسفاره وسعة

اطلاعه على تجارب الشعر العالمي.

لم ينقطع عن نظم الشعر وهو أبداً يسعى إلى تطويره وجعله أكثر غنائية وإنسانية.

والشاعر يصور في شعره كذلك غربة الإنسان في العالم وهو يرى أن من واجب الشاعر أن يتجاوز رفضه للواقع إلى محاولة تقويضه وبناء واقع جديد على أنقاضه. والبياتي لجأ إلى استخدام القناع المستعار من التاريخ والرمز والأسطورة لكي يعبر من خلاله عن المحنة الاجتماعية والكونية[1].

للبياتي أعمال كثيرة منها في مجال الشعر:

- ملائكة وشياطين ١٩٥٠.

- لم ينقطع عن نظم الشعر وهو دوماً يسعى إلى تطويره، وجعله أكثر غنائية وإنسانية.

- أباريق مهشمة ١٩٥٤[2]

- المجد للأطفال والزيتون ١٩٥٦

- أشعار في المنفى ١٩٥٧

- عشرون قصيدة من برلين ١٩٥٩

- كلمات لا تموت ١٩٦٠

- النار والكلمات ١٩٦٤

- قصائد ١٩٦٥

- محاكمة في نيسابور ١٩٦٣

- الذي يأتي ولا يأتي ١٩٦٦

---

(١) الشعر العربي الحديث/ د. ميشال جحا ص ٣٧٢.

(٢) نشرت تعريفاً بهذا الديوان في جريدة (السياسة) البغدادية الصادرة سنة ١٩٥٤.

ـ سفر الفقر والثورة ١٩٦٦

ـ الموت في الحياة ١٩٦٨

ـ عيون الكلاب الميتة ١٩٦٩

ـ بكائية إلى شمس حزيران والمرتزقة ١٩٦٩

ـ الكتابة على الطين ١٩٧٠

ـ حب على بوابات العام السبع ١٩٧١

ـ كتاب البحر ١٩٧٣

ـ سيرة ذاتية لسارق النار ١٩٧٤

ـ قمر شيراز ١٩٧٥

ـ مملكة السنبلة ١٩٧٩

ـ بستان عائشة ١٩٨٩

ـ حب وموت ونفي ١٩٩٠

؛ تجربتي الشعرية ١٩٩٣

ـ مدن ورجال ومتاهات ١٩٩٩

وللشاعر مجاميع أخرى صدرت في بيروت منها: (كنت أشكو إلى الحجر)، (صوت السنوات الضوئية)، (رسالة إلى ناظم حكمت وقصائد أخرى)، (بول ايلوار)، (الأعمال الشعرية الكاملة) في مجلدين، كتاب (المراثي)، (خمسون قصيدة حب)، (أراغون شاعر المقاومة)، (عبد الوعاب البياتي في مدن العشق)، (حرائق الشعراء).

صدرت عنه عدة دراسات نقدية، تناولت سيرة حياته وشعره، لعلّ أبرزها كتاب (عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث) للدكتور إحسان عباس (بيروت ١٩٥٥م) و(عبد الوهاب البياتي بروميثيوس الشعر العربي) ـ

الرحلة الأميركية، إعداد وتقديم علي الشلاه (بيروت ١٩٩٦) و(عبد الوهاب البياتي من باب الشيخ إلى قرطبة) ترجمة وكتابة وليد غانب صالح (بيروت، دار الحداثة ١٩٩٢) و(شعر عبد الوهاب البياتي في دراسة أسلوبية/ للدكتور خليل رزق (بيروت، دار الأشرف ١٩٩٥). وترجمت معظم مجاميعه الشعرية إلى لغات حيّة.

* أذهبت قصائده من محطات عالمية ونشرت عدة مجموعات شعرية له في القاهرة وبيروت وعمان ومدريد وتونس.

* كان يقيم في عمان ـ الأردن ثم انتقل إلى دمشق.

● توفي يوم ١٩٩٩/٨/٣ ودفن بدمشق حيث أراد بجوار شيخه محي الدين بن عربي.

سفر الفقر والثورة

من القاع أناديك،
لساني جف واحترقت
فراشاتي على فيك
أهذا الثلج من برد لياليك؟
أهذا الفقر من جود أياديك؟
على بوابة الليل
يسابق ظله ظلي
ويقبع ساغباً عريان في الحقل
ويتبعني إلى النهر
أهذا الحجر الصامت من قبري؟
أهذا الزمن المصلوب في الساحات من عمري؟
أهذا أنت يا فقري،
بلا وجه، بلا وطن
أهذا أنت يا زمني
يخدش وجهك المرآة
ضميرك تحت أحذية البغايا مات
وباعك أهلك الفقراء
إلى الموتى من الأحياء

فمن سيبيع للموتى؟
ومن سيبدد الصمتا
ومن منّا؟
شجاع زمانه ليعيد ما قلنا
ومن سيبوح للريح
بما يوحي
بأنّا لم نزل أحياء
أهذا القمر الميت إنسان
على سارية الفجر، على حائط بستان
أتسرقني؟
أتتركني؟
بلا وطن وأكفان
صغاراً آه قد كنا، وقد كان . .
لو أن الفقر إنسان
إذن لقتلته وشربت من دمه،
لو أن الفقر إنسان

القنديل الأخضر

تحت جنح الليل، والصمت، وأعماقي الكئيبة
وعبير الأرض والليمون، والماضي وحزني
لم يعد يوقظ أحلام الصبا المخذول فيّا
كان ضوء، كان في قبرٍ، بعيداً كان عنّي
الفضاء القذر، المظلم، يستنزفه شيئاً فشيّا
غير أني، كنت أقوى
كنتُ من نفسي أقوى
كنتُ أهوى
لو تلاقينا على ذاك الضياء
كفراشين، على الأوراد غابا في عناق
واحترقنا؛ أنا والماضي وعيناها
على ذاك الضياء
وعبير الأرض، والليمون يخبو، والسواقي
كفراشين على الأوراد، والقرية تصحو من كراها
تغسل الساقية العذراء في الفجر رؤاها
والأزاهير إلى النور تصلّي، والكلاب
تنبح الأموات، والليل المدلّي، والهضاب
وأنا أحلم في نافذتي والعطر يخبو

غير أني كنتُ من نفسي أقوى
كنتُ أهوىٰ أن أراها
سوسن الحقل يغطّي جسمها العاري ـ أراها
ووراء الحائط المنهار، تستجدي العصافير غناها
كان ضوء، كان في قبرٍ، بعيداً كان عنّي
الفضاء القذر، المظلم، يستنزفه شيئاً فشيّا

قمر شيراز

- ١ -

أجرحُ قلبي، أسقي من دمه شعري، تتألّق جوهرة
في قاع النهر الإنساني، تطير فراشات حمر، تولد
من شعري: امرأة حاملة قمراً شيرازيّاً في سنبلةٍ
من ذهبٍ مضفوراً، يتوهّجُ في عينيها عسل
الغابات وحزن النار الأبديّة، تنبت أجنحة في
الليل لها، فتطير، لتوقظ شمساً نائمةً في
حبّات العرق المتلألىء فوق جبين العاشق، في حزن
الألوان المخبوءة في اللوحات: امرأة حاملة قمراً
شيرازيّاً، في الليل تطير، تحاصر نومي، تجرح قلبي
تسقي من دمه شعري، أتعبّدُ فيها: فأرى مدناً
غارقةً في قاع النهر النابع من عينيها، يتوهّج سحر
عسليّ: يقتل مَنْ يدنو أو يرنو أو يسبح ضدّ التيّار،
أرى كل نساء العالم في واحدةٍ تولد من شعري.
أتملّكها، أسكن فيها، أعبدها؛ أصرخ في وجه
الليل، ولكن جناحي يتكسّر فوق الألوان المخبوءة
في اللوحاتْ

ـ ٢ ـ

مجنوناً بالنهرِ النابع من عينيها
بالعسلِ الناريّ المتوهّج في نهرِ النارْ
أسبحُ ضدّ التيّارْ

ـ ٣ ـ

أكتب تاريخ الأنهار
أبدؤه بطيور الحبّ وبالنهر الذهبيّ الأشجار

ـ ٤ ـ

بدمي يغتسل العشّاق
وبشعري يبني الغرباء
في المنفى «شيراز»

ـ ٥ ـ

أتملّكها، أسكن فيها
أعبدها
أرسمُ في ريشتها: مدناً فاضلةً يتعبّدُ فيها الشعراء

ـ ٦ ـ

مجنوناً بالنهر النابع من عينيها
بالسيل الجامح والفيضان
باللهب المفترس الجوعان
أسبحُ من غير وصولٍ للشاطىء، أغرق سكرانْ

ذكريات الطفولة

بالأمس كنّا ـ آهِ من كنّا، ومن أمسٍ يكونْ ـ
نعدو وراء ظلالنا ـ . . . كنّا، ومن أمسٍ يكونْ ـ
لا نرهب الصمت الذي تضفيه أشباح الغروبْ
فوق الحدائق والدّروبْ
لا نرهب السّور الذي من خلفه يأتي الضياءْ
ولربما مات الضياء ولم يعدْ ونقولُ: «جاء!»
كنا نقول كما نشاء
حتى النجومْ
كنا نقول بأنّها ـ كانت عيونْ
للأرض تنظر في فتونْ
حتى النجومْ!
كانت عيونْ
لا نعرف «الشيء الصغير» ولا نصدّق ما يُقالْ
ولا نزالْ
لا نعرف الشيء الصغيرَ ولا نصدّق ما يقالْ
ولربما كنا نحدّق في الفراغ، ولا ننامْ
وفي الظلامْ
ـ مأوى الأفاعي والعفاريت الضّخامْ ـ

كانت مدائننا الجديدة في خواطرنا تقام
كانت مدائننا الجديدة في الظلامْ
بمنازل الأموات، أشبه، أو قرى
النَّمل ـ . . . الجديدة في الظلامْ ـ
كانت مدائننا تقامْ
وفي الظلامْ
كنا نحدّق في الفراغ، ولا ننامْ
إلا على أصوات عالمنا المقوَّض والعبيدْ
يتسكعون، ومن جديدْ
يستقبلون ـ هناك ـ طاغية جديدْ
وخيولنا الخشبية العرجاء، كنّا في الجدارْ
بالفحم نرسمها، ونرسم حولها حقلاً ودارْ
حقلاً ودارْ
ونطارد القطط الهزيلة في الأزقَّة بالحجارْ
وإلى «الحبيبة» كان يدفعنا، ويدفعنا الحنينْ
في بيتها نقضي أماسينا الطويلة حالمينْ
كنا لخفق نعالها الفضّي، نصغي ساهمين
بعد المساء، وبعد حين
فنعود، نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة
الأمس ماتْ!
الأمس مأتْ!
لم يبق حول «مدينة الأطفال» إلا ما نشاءْ
إلا السماء

جوفاء، فارغة، تحجَّر في مآقيها الدخانْ
إلا بقايا السور والشحّاذ يستجدي، وأقدام الزّمانْ
إلا العجائز في الدروب الموحشاتْ
يسألن عنا الغاديات، الرائحاتْ
ولربما مرَّت بهنَّ . . . بهنّ هذي الذكريات:
«السور» و «الشحّاذ» و «الطفل الذي بالأمس ماتْ»

أباريق مهشمة ١٩٥٤

في المنفى

المسجد المهجور، والليل الموشَّح بالنجومْ
تتثاءب الأشباح في أبعاده، ويحومُ بومْ
طللٌ وبومْ
ولهيب تنّورٍ، تراقص في وجومْ
ـ ماذا تروم؟
«مني ومن طللي سدومْ!
الشوك يورق كالصنوبر والكروم
إنْ باركته، يدٌ رؤومْ»
ـ ماذا تروم؟
نعشي ستحمله الرّياح مع الغيومْ
عبر القفار، مع الغيومْ
وأنا وأحلامي الكسيحة والنجومْ
الشوك والأموات والطلل المصدَّع والنجومْ
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهارْ
فنلوذ في ظلّ الجدار
عبثاً، نحاول ـ أيُّها الموتى ـ الفرارْ
البوم تنعب والدروب الموحشات
على انتظار
نبقى هنا؟ يا للدَّمارْ!

البوم تنعب في احتقارْ
بالأمس كان لنا على القَدَر انتصارْ
كان انتصارْ
واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظلّ الجدارْ
هذي القفار، بلا قرارْ
الليل في أودائها الجرداء، يفترس النهارْ
نبقى هنا . . . ؟ يا للدمار!
عبَثاً، نحاول ـ أيُّها الموتى ـ الفرارْ
من مخلب الوحش العنيدْ
من وحشة المنفى البعيد
الصخرة الصمّاء، للوادي، يدحرجها العبيدْ
«سيزيف» يبعث من جديدٍ، من جديدْ
في صورة المنفي الشريدْ
ـ ماذا تريد؟
«القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيدْ»
ـ ماذا تريد؟
«الورد لا ينمو مع الدَّم والحديد»
طَللٌ وبيدْ
تقضي، بقيَّة عمرك المنكود فيها تستعيدْ
حُلماً لماضٍ لن يعودْ!
حلم العهود الذابلات مع الورودْ
كانت حياتك من جليدْ
ولتبقَ ـ رغم أشعّة الحب المذيبة ـ من جليدْ!

الملجأ العشرون

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال
وكوحشة المصدور في ليل السعال
كانت أغانينا، وكنا هائمين بلا ظلال
مترقبين، الليل، أنباء البريد:
«الملجأ العشرون
ما زلنا بخير، والعيال
ـ والقمل والموتى ـ يخصون الأقارب بالسلام»
والذكريات الفجة الشوهاء تعبر، والخيام
والريح والغد والظلام
كوجوهنا غب الرحيل:
«أماه! ما زلنا بحير» والذئاب
تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد:
«يا إخوتي من أين نبدأ؟ من هنا!» ليل السعال
وبريدنا الباكي المعاد:
«لا شيء يذكر لم تزل يافا وما زال الرفاق
تحت الجسور، وفوق أعمدة الضياء
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراق

على حوائطها القديمة، واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد»
«من هاهنا أماه! أعواد المشانق والحريق
من هاهنا بدأوا ونبدأ، والطريق
وعر طويل
لا عاش رعديد ذليل».
يافا نعود غداً إليك مع الحصاد
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبّرات
والأمهات.
«الملجأ العشرون
ما زلنا بخير، والعيال
والإخوة المتشردون
من قبونا النائي يخصون الأقارب بالسلام.

«أباريق مهشمة ١٩٥٤»

قصائد حب إلى عشتار

- ١ -

تذرف السروة في الليل دموع العاشقه
وتُعرّي صدرها للصاعقة
وعلى أقدامها يسجد عرَّاف الفصول
عارياً أنهكه البردُ وغطى وجهه ثلج الحقول
يخدش الأرض، يُعرّيها
يموتْ
تاركاً قطرة نور
بين نهديها الصغيرين وفي أحشائها رعشة بركان يثور
حيث تنشق البذور
ترضع الدفء من الأعماق، تمتد جذور
لتُعيد الدم للنبع وماء النهر للبحر الكبير
والفراشات إلى حقل الورود
فمتى عشتار للبيت مع العصفور والنور تعود؟

- ٢ -

نبتت لي أجنحة
وأنا أحمل من منفى تعاويذ إلى منفى الملوك السحره
وزهور المقبره

وعذابات الليالي الممطره
مثل ماء النهر من تحت جسور العالم المشحون بالحقدِ،
تلمست الضفاف المظلمه
وتمزقت وناديت باسم الكلمه
باحثاً عن وجهك الحلو الصغير
في عصور القتل والإرهاب والسحر وموت الآلهه
وتمنيتك في موتي وفي بعثي وقبّلت قبور الأولياء
وتراب العاشق الأعظم في أعياد موت الفقراء
ضارعاً أسأل، لكنَّ السماء
مطرتْ بعد صلاتي الألف ثلجاً ودماء
ودُميً عمياءَ من طين وأشباح نساء
لم يَرَيْنَ الفجر في قلبي، ولا الليل على وجهي بكاء
فمتى تَنْهَلُ كالنجمة عشتار وتأتي مثلما أقبلَ في ذات مساء
ملكُ الحب لكي يتلو على الميت سفر الجامعه
ويُغطي بيد الرحمة وجهي وحياتي الفاجعه.

- ٣ -

طائر غرَّد عبر النافذه
رفَّ في الظلمة والنور، وحيَّاني
وأهدى وردة محترقه
سقطت فوق ذراعي بضة مرتجفه
وأنا ألتفّ في نومي بحبل المشنقه:
صارت الوردةُ طفله

صارت الطفلةُ أنثى عاشقه
تتشهى قمر الثلج ونار الصاعقة

ـ ٤ ـ

نبذتني طُرق العشق وملّتني الدروب
وأنا أبحث عن بابلَ عن خصلة شَعر علّقتها
الريحُ في حائط بستان الغروب
عن نقوش وكتابات على الطين وآثار حريق
من هنا مرت وفي هذي الطلول الدارسه
لاحقتني لعنات الآلهه
والذئاب الجائعه
وأنا أتلو على المعشوق سفر الجامعه
ميتاً عاد من الأسر بأسرار الملوك السحره
ليرى قريته المحتضره
خبراً يرويه للريح صداح القبّره
وتراباً خلّفته الزوبعه
في التكايا وعلى وجه دراويش الفصول الأربعه

ـ ٥ ـ

من تُرى : ذاق ـ فجاعت روحه ـ حلوَ النبيذ
وروابي القارة الخضراء والمطاط والعاج وطعم الزنجبيل
وعبير الورد في نار الأصيل
ورأى الله بعينيه ؛ ولم يملك على الرؤيا دليل
فأنا في النوم واليقظة من هذا وذاك

ذقتُ، لمَّا هبطتْ عشتار في الأرض ملاك.

- ٦ -

وردة مرتجفه
حملتها الريح من أرض الأساطير إلى المقهى وموت الأرصفه
لتغني صامته
للروابي الخضر في الحلم وأوراق الخريف الميته

- ٧ -

جعت في بستان هذا العالم المثقل بالأزهار والحب وألوان الثمار
جعت حتى الموت في كل عصور الانتظار
وتمزقت ببطءٍ من نهار لنهار
وتماسكت وقد زعزعني الدهر وقبلت قبور الأولياء
وتراب العاشق الأعظم في أعياد موت الفقراء
فلماذا عقرب الساعة دار؟
عندما ألقت على الجائع عشتار الثمار.

- ٨ -

لون عينيك: وميض البرق في أسوار بابل
ومرايا ومشاعل
وشعوب وقبائل
غزت العالم، كشفتْ بابل أسرار النجوم
لون عينيك: سهوب حطمت فيها جيوش الفقراء
عالم الأسطورة والإرهاب باسم الكلمه
وغزتْ أرض الأساطير وشطآن العصور المظلمه

- ٩ -

طفلة أنت وأنثى واعده
وُلدتْ من زبد البحر ومن نار الشموس الخالده
كلما ماتت بعصر، بُعثتْ
قامتْ من الموت وعادت للظهور
أنتِ عنقاء الحضاراتِ،
وأنثى سارق النيران في كل العصور.

- ١٠ -

موجة تلثم أخرى وتموت
وجبال ودهور
وكهوف ملّت الصمتَ وأقمار من الطين تدور
وأنا أكتب فوق الماء ما قلتُ وقالت عشتروت:
لا تُهدىء آه من حبي، وقل شيئاً، به
أؤمن، شيئاً لا يموت
لا توفّر جسدي: أيامه معدودة، فلتُشعل النيران فيهِ
فغداً فوق ذراع امرأة أخرى وفي أحضان أخرى تشتهيه
إنني أصبو إلى ذاتك، ما هذي الدموع؟
قبلةٌ أخرى، فنعرى ونجوع
حاملين الشمس من تيهٍ لتيه
صنم من ذهبٍ أنت وفي أعماقه مختبىءٌ
كاهن صحراء النجوم
مال نحوي وارتوى من شفتي، فانطفأت في يده إحدى الشموع

جسدي أصبح ورده
عارياً في النور وحده

- ١١ -

مدن الله على الأرض بنيناها، بنينا كعبةً عبر البحار
وتعبّدنا بمحراب النهار
أيها الحبُّ الذي يعمر بالحب القفار
قادماً أقرع أبوابك أقبلتُ من الأرض الخراب
آه لن تسقط أزهاري على عتبة دار
دون أن تمنح محبوبي الثمار.

«الكتابة على الطين ١٩٧٠»

من أوراق بعض المحكومين بالإعدام بعد سقوط كومونة باريس

- ١ -

ولدت في عصر الخيانات وفي أزمنة العذاب والثورات
كان أبي عبداً على محراثه مات وكنت شاعراً جوال
اصطاد في طفولتي فراشة القمر
فوق سطوح مدن النحاس
أدق في غيابها الأجراس
احفر في قصائدي نفق
إلى سماء قريتي الزرقاء .
مهاجراً مع الطيور ولغات كتب الثوار .
ولدت مأخوذاً وكانت قدمي الريح وقلبي في يد الأقدار
مطرقة حمراء .
رأيت في تكهن الغيب وفي طوالع النجوم
وفي تصاريف الليالي : طائراً مفترساً يأتي مع الفجر، فينقض على القطيع
ممزقاً أوصال هذي المدن الشوهاء في عاصفة الرعد وفي مخالب الحديد
وغارساً منقاره في لحمها المسنون

وباسطاً جناحه فوق حطام العالم القديم .
رأيت : أعوان ملوك العالم الصغير
وأوجه الطغاة
مذعورة تحاصر الثوار
وطائر الرعد بلا جناح
يطلق صيحة ويهوي ميتاً بطعنه من خنجر مسموم

- ٢ -

كان أبي عبداً على محراثه مات ولكني على مقصلة الجلاد
مستشهداً أموت

- ٣ -

لترتفع رايات كومونة باريس
لينهض فقراء الأرض من جديد

- ٤ -

دم على الكنائس القوطية الحمراء
دم على الأجراس
دم على قصائد الأمطار واللوحات
دم على دفاتر الأطفال
دم على باريس
يهطل مدراراً على بيوتها ويسقط الجليد

- ٥ -

افك في قصائدي الحصار
عن هذه المدينة المذبوحة، البالية الأطمار

- ٦ -

ثانية سيقبل المخلص المسيح
لكنه في هذه المرة يأتي من بلاد الليل والثلج من وراء هذا الحائط المرص . .
ها أنذا أراه في الغيب وفي بوابة المستقبل البعيد
يحمل سيفاً بيد وغصن زيتون بأخرى باسطاً صليبه فوق حطام العالم

- ٧ -

لتحترق باريس
فحبنا جرح وهذا الدم في سمائها علا الحريق

- ٨ -

دس لي الحارس في السجن كتاباً أسود الغلاف
كان بلا عنوان
يحكي عن القديس أوغسطين
ومعجزات طائر الرعد وآيات نبي غامض في الصين
خبأته تحت قميصي وشكرت الحارس الغارق في الصمت وفي معطفه المنسول
جفت دموعي قبل أن تولد في العيون
كتبت في حاشية الكتاب
رسالة لامرأة مجهولة
أحببتها في زمن الطفولة
قلت لها : أيتها البحيرة المسكونة

بكلمات الحب والنجوم والأسماك .
قلت لها : الوداع !
كتبت في دفاتر الموت لها تميمة
مقبلاً عيونها الخضراء
قلت لها ، وانقطع الزمن
وهبط الملاك في باريس
ونهض الموتى من القبور
يبتهلون لمسيح العالم الجديد
ينتظرون القادم المجهول من قصائد الحب ومن أجنة الربيع
متوجاً بالنار والصقيع
قلت ، ولكنَّ يد القديس أوغسطين
باركت الجنين
في بطن من أحببتها في زمن الطفولة .
كتبت في دفاتر الموت لها رسالة طويلة
تحكي عن العذاب والحضور
ومعجزات النور

- ٩ -

لترتفع رايات كومونة باريس
لينهض فقراء الأرض من جديد

- ١٠ -

كان الفراق الموت
يأتي مع الفجر ليستخرج من صندوق هذا الجسد الجواهر

والأمل المسافر
وشعلة الحياة .
يأتي مع الجلاد
يحمل ميراث عصور أحرقت طغاتها صواعق الميلاد
وقاهر الطبيعة الإنسان .
فلتحملي أماه؟
نعشي على فراشة البرق إلى الحقول والغابات
ولتنثريني في الضحى رماد
في مدن الجوع وفي أزمنا العذاب والثورات
أولد ـ من خلال هذا العالم الراعد بالطوفان ـ من جديد
مع الملايين التي عذبها انتظارها الطويل
من أجل أن تنهض فوق هذه المدينة الشهيدة
كومونة جديدة

١٩٧١

بلند الحيدري

ولد في بغداد عام ١٩٢٦.

بدأ نظم الشعر باللغة الكردية وعمره (١١) سنة.

تأثر في البدء بالديباجة العباسية ثم بشعر المهجر ثم بمحمود حسن إسماعيل وإلياس أبو شبكة وهو يمثل الرومانسية في أحسن أدوارها.

اجتاز مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة وتوقف في دراسته عند هذه الحدود.

عمل أواسط الأربعينات في الصحافة، ثم دخل السلك الوظيفي حتى عام ١٩٦٢، وانتقل عام ١٩٦٣ إلى بيروت حيث عمل في التدريس هناك، إضافة إلى قيامه برئاسة تحرير مجلة «العلوم» البيروتية، ثم تفرغ لرئاسة القسم الأدبي لمجلة «بيروت المساء» حتى هام ١٩٧٥ عندما توقفت المجلة عن الصدور بسبب الأحداث الدامية في لبنان، وعندها عمل مستشاراً للمركز الثقافي العراقي في بيروت حتى عودته لبغداد في تشرين الأول ١٩٧٦. وأخيراً شد الرحال إلى لندن للعمل وقد وافته المنية فيها ودفن بها، وذلك يوم ١٩٩٦/٨/٨.

من أنشطته الأدبية مساهمته مع بعض الأدباء والفنانين بتشكيل جماعة «الوقت الضائع» التي أصدرت مجلة بهذا العنوان، ولكن المجلة لم يقدر لها

الاستمرار، إذ صدر منها عددان وأغلقت فيما بعد وتوقفت، كذلك جماعة «الوقت الضائع» عن النشاط.

كان بلند شاعراً مجدداً مبدعاً في سلاسة شعره والصور التي كان يجيدها، وهو يكتب القصيدة بأسلوب ساحر ولغة جميلة، أسهم في تطويرها وتجديدها.

وبلند الحيدري ينظم الشعر بسهولة كما يشرب الماء، تأثر في شعره بالأساطير اليونانية القديمة.

له من الأعمال الشعرية:

- خفقة الطين ١٩٤٦
- أغاني المدينة الميتة ١٩٥١
- أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى ١٩٥٧
- جئتم مع الفجر ١٩٦١
- خطوات في الغربة ١٩٦٥
- رحلة الحروف الصفر ١٩٦٨
- أغاني الحارس المتعب ١٩٧١
- حوار عبر الأبعاد الثلاثة ١٩٧٢
- المجموعة الشعرية الكاملة ١٩٧٥
- إلى بيروت مع تحياتي ١٩٨٩
- أبواب إلى البيت الضيق ١٩٩٠

وله من الدراسات:

- **زمن لكل الأزمنة ١٩٧٩ بيروت**
- **نقاط ضوء ١٩٧٩ بيروت**
- **مداخل في الشعر العراقي الحديث ١٩٨٧ القاهرة**

* أصدر عام ١٩٥٥ مجلته (الفصول الأربعة) وصدر منها عدد واحد.

* ترجمت بعض أشعاره إلى الانكليزية والفرنسية والاسبانية.

* كتب عنه النقاد بحوثاً ودراسات عديدة منها: دراسة كتبها ياسين النصير في مجلة (الطريق) عدد آذار ـ نيسان ١٩٩٦ بعنوان (ضلع المربع الدائري ـ قراءة في شعر بلند الحيدري).

مختارات من شعره:

حب قديم

هل تذكرين . . ؟
وخجلت مما تذكرين
أما أنا فلقد ضحكت، ضحكت مما تذكرين
كنا صغار
ولعلنا لم ندر من أنا صغار
لم ندر من أنا صغار
هل تذكرين . . ؟
كان النهار يموت في الأفق الحزين
وكما تعوّد من سنين
كان انتظار
وأتى القطار
ومضى النهار
وتصافحت أيدٍ كثار
إلا . . يدي . .
هل تذكرين . . ؟
إلا . . يدي . .
كانت مهيأةً لأجمل موعد
لكن عبرت، عبرت لم تتلفتي

لم تنشدي سري الدفين
أما أنا فلقد خجلت، خجلت من حبي المهين

* * *

هل تذكرين . . ؟
وخجلت مما تذكرين
أما أنا فلقد ضحكت، ضحكت مما تذكرين

مجلة (الأديب) ١٩٥١

العقم

مهداة لصديقي بالروح يوسف الشاروني

نفس الطريق
نفس البيوت، يشدها جهد عميق
نفس السكوت
كنا نقول غداً يموت . . وتستفيق
من كل دار
أصوات أطفال صغار
يتدحرجون مع النهار على الطريق
ويسخرون بأمسنا، بنسائنا المتأففات
بعيوننا المتجمدات، بلا بريق
لن يفهموا ما الذكريات
لن يعرفوا الدرب العتيق
وسيضحكون لأنهم لا يسألون
لِمَ يضحكون . . .
كنا نقول غداً سندرك ما نقول
ولسوف تجمعنا الفصول . . هنا صديق
وهناك إنسان خجول
بالأمس كان هوى عميق

برميثيوس

وكالذرى
تلك التي لا ترى
في صمتها القارص غير الرعود
أعيش في موتي وأقتات من
سري الذي كان، فكان الوجود
لا هاجس يبحث بي عن صدى
ولا غد يحلم لي بالخلود
والليل إن مر ولم ينته
لن يسأل الشك . . ترى هل تعود؟
تعود أو لا تعود
فليس في مطّرحي ساعة
يحصى بها الوقت خداع الوعود
هذي يدي
نفضت منها غدي
ومولدي الراسف بين القيود
فليحلم النسر بأمواته
ولتحلم الموتى بسرّ الخلود

مجلة (الأديب) ١٩٥١

شيخوخة

شتوية أخرى
. . . وهذا أنا
هنا
بجنب المدفأة
أحلم أن تحلم بي امرأة
أحلم أن أدفن في صدرها
سراً
فلا تسخر من سرّها
أحلم أن أطلق في منحنى
عمري سنى
تقول :
. . . هذا السنا ملكي فلا تقرب له
امرأة

* * *

هنا
بجنب المدفأة
شتوية أخرى
وهذا أنا
أنسج أحلامي وأخشاها

أخاف أن تسخر عيناها
من صلعة حمقاء في رأسي
من شيبة بيضاء في نفسي
أخاف أن تركل رجلاها
حبي
فأمسي أنا
هناك
جنب المدفأة
ألعوبة تلهو بها امرأة

* * *

شتوية أخرى وهذا أنا
وحدي
لا حب
لا أحلام
لا امرأة
عندي
وفي غد أموت من بردي
هنا
بجنب المدفأة

من ديوان (أغاني المدينة الميتة)

حلم في أربع لقطات

لقطة أولى

تفترش الشاشة عينانِ
انفرجت شفتان
ابتسمت
لمعت عدة أسنان
ويغور اللون الأخضر في كل الألوان

* * *

لقطة ثانية

رجلان تجوسان الليل بلا صوتِ
الظلمة توحي بالموت
تلتمع السكينْ
تتجمع في النصل رؤى لسنين
وسنينْ
وبلا صوتِ
تنطبق الشفتانِ
ما من أثر للقبلة في الفمْ
لا شيء سوى قطرة دم
ويغور اللون الأحمر في كل الألوانِ

* * *

لقطة ثالثة

اسم المخرج . . أنت . . أنا . . همْ
اسم المنتج . . أنت . . أنا . . هم
اسم المتفرج . . أنت . . أنا . . هم
والشاشة فسحة حلم
والقاتل والمقتول، أنا
لا شيء سواي أنا
معنى
يتململ في قطرة دمْ

* * *

لقطة رابعة تصوير من الخارج

سقط الفلمْ
فر المخرج من باب خلفي
بصق المتفرج في كفي
سقط الفلم
أربع لقطات غرقت في نقطة دم
. . . .
لكني وأنا المخرجْ
والمنتجْ
والمتفرجْ
لا أملك من كل الدنيا إلاّ . .
فسحة حلمْ
لا أملك بيتاً لحنيني،

صدراً يأويني
لا أملك مأوى في أي مكانِ
ولأني
لا أملك مأوى
لا أعرف مقهى
ملهى
مبغى يلقاني . . .
ولا امرأةً في حانِ
سأظل هنا،
وسأنتظر الدور الثاني

* * *

الصالة خالية إلاّ من رجل نائم

من ديوان (أغاني الحارس المتعب)

خطوات في الغربة

هذا
أنا
ـ ملقى ـ هناك حقيبتان
وخطىً تجوس على رصيف لا يعود إلى مكان
من ألف ميناء أتيت
ولألف ميناء أصار
وبناظري ألف انتظار
لا . . .
ما انتهيت
لا . . ما انتهيت فلم تزل
حبلى كرومك يا طريق ولم تزل
عطشى الدنان
وأنا أخاف
أخاف أن تصحو لياليَ الصموتات
الحزان
فإذا الحياة
كما تقول لنا الحياة :
يد تلوح في رصيف لا يعود إلى مكان

لا . . .
ما انتهيت
فوراء كل ليالي هذي الأرض لي حب
وبيت
ويظل لي حب وبيت
وبرغم كل سكونها القلق الممض
وبرغم ما في الجرح من حقد
وبغض
سيظل لي حب وبيت
وقد يعود بي الزمان

* * *

لو عاد بي
لو ضم صحو سمائي الزرقاء هدبي
أترى سيخفق لي بذاك البيت
قلب
أترى سيذكر ابن ذاك الأمس
حب
أترى ستبسم مقلتان
أم تسخران
وتسألان
ـ أو ما انتهيت
ماذا تريد ولِمَ أتيت
إني أرى في ناظريك حكاية عن ألف ميت

وستصرخان :

ـ لا تقربوه ففي يديه . . . غداً

سينتحر الصباح فلا طريق ولا سنى

لا . .

اطردوه فما بخطوته لنا

غيم لتخضرَّ المنى

وستعبران

* * *

هذا أنا

ـ ملقى ـ هناك . . حقيبتان

وإذا الحياة

كما تقول لنا :

يد تلوح في رصيف لا يعود إلى مكان

سبحانك بيروت

سبحانك بيروت
فنحن بنيك الفقراءَ
ومن لم ننعم بلياليك البيضاء . ومن لم تمسس
شفتانا عطياك ولا خير أراضيك
ومن لم نتبلغ فيك
بغير جلود أيادينا المعروفة كالجوع
المصفرة كالداء
سبحانك بيروت
فنحن بنيك الفقراء
نموت
من العطش المر
نموت
ومنا زرقة عينيك تغور بعيداً
ولتروي ألفي بحر
ومنا خضرة كفيك ومدّ يديك
حقولاً
وغلالاً
ومنابع ماء

والباغي والطاغي
والناهش لحم بنيك . . المالىء دربك بالموت
وبالعار
وباللهب
قدمتِ لهم رأسك في صحن من ذهب
سبحانك بيروتْ
يا موتاً أكبر من تابوت

من ديوان (خطوات في الغربة)

ساعي البريد

ساعي البريدْ
ماذا تريد . . ؟
أنا عن الدنيا بمنأى بعيد
أخطأتَ . . لا شك فما من جديد
تحمله أنت لهذا الطريد

ما كان
ما زال على عهده
يحلم أو يدفن أو يستعيد
ولم تزل للناس أعيادهم

ومأتم يربط عيداً بعيد
أعينهم تنبش في ذهنهم
عن عظمة أخرى لجوع جديد

ولم تزل للصين من سورها
أسطورة تمحى ودهر يعيد
ولم يزل للأرض «سيزيفها»

وصخرة تجهل ماذا تريد .
ساعي البريد

أخطأت . . لا شك فما من جديد
وعد مع الدرب ويا طالما
جاء بك الدرب . . وماذا تريد؟

١٩٤٨

خيبة الإنسان القديم

صليتُ يا أختاهْ
صليتُ حتى صارت الذنوب في مجاهلي، صلاه
وصمتُ حتى جفت الشفاه
وقلتُ:
في الشفاه
في الخشب المعدّ للشتاء لي
إلهْ
وإنني سحابة جادت بها يداه
وإنني حلم الرمال السمر بالمياه
وإنني من يبسي أفجّر الحياه.
وكانت الحياه
تسمَّر الصليبَ في الجباه
وتصلب المسيح كل ساعةٍ
تصلب هذا الميتَ كل لحظةٍ
فينتشي من ألمي مداه
وفي عيوني اليابسات ترتمي سماه
حكايةً عن تائه تخنقه خطاه
وكنتُ يا أختاه

أحمل في أعماقيَ المتاه
صلَّيتُ
صمتُ
صرتُ في متاهتي إلهْ
وصارت الذنوب في مجاهلي صلاه
وجفت الشفاه
وها أنا أموت يا أختاه
كما يموت الرب في منفاه
ولستُ غير خطوةٍ
غرستها
في الرملِ
كي تحلم بالمياه .

(رحلة الحروف الصفر ١٩٦٨)

دعوة للخدر

لتصمت الأجراسْ
وافقأ بعقب حذائك الشمسْ
واطفىء عيون الناس
فليس في مدينة النعاس
غد ولا أمسْ
ونمْ
يا أيها المستيقظ الوحيد كالألم
علق على مشجبك الصديء ما تحمل من أتعابْ
ونمْ
يا أيها المنبوذ في الندم
انزع جلود الناسْ
دعها لهم وليمة في الغاب
فليس في مدينة النعاس
غد ولا أمسْ
ولن ترى في قطرات الدم
هابيل
أو بغيَّك العجوز أو بكارة العرسْ
فنمْ

العالم الكبير خلف الباب
نامْ
لا ساعة تأرق في عينيه، لا أرقام
يا موتاً أكبر من أن يدفن أو يعفن تحت صليب من خشب
يا موتاً
لا يعرف كيف يموت . .
ونامت الكلاب
والليل نام
ونامت اللصوص والحراس
فنمْ
اطفىء عيون الناسْ
ونمْ
ولتصمت الأجراس
لتصمت . . الـ . . .
راس
آس . . .

(أغاني الحارس المتعب ١٩٧١)

كاظم جواد

ولد في محافظة ذي قار (الناصرية) سنة ١٩٢٩م وأكمل دراسته الثانوية فيها سنة ١٩٤٥م ثم قدم إلى بغداد وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٥٢م.

تزوج في منتصف سنة ١٩٥٦ من الأديبة الفلسطينية سلامة حجاوي، ثم انفصل عنها قبل رحيله، وله منها ولد وبنت. وكان عصبي المزاج.

شغل عدة وظائف منها:

* عين موظفاً في عمادة معهد الفنون الجميلة.
* ملحق صحفي في واشنطن.
* مدير التعاون الثقافي والفني.
* مدير الترجمة في وزارة الثقافة والإعلام.
* ملحق صحفي في نيودلهي بالهند.
* مدير الملحقيات الصحفية في وزارة الثقافة والإعلام.

من أعماله المطبوعة:

- من أغاني الحرية (بيروت ١٩٦٠)
- لوركا قيثارة غرناطة (بيروت ١٩٥٧)

بدأ ينشر إنتاجه الشعري في الصحف العربية المختلفة منذ سنة ١٩٤٧. ترجم لبعض مشاهير الشعراء الغربيين.

يحترم الشعر الذي ينم عن عقيدة، ويكره التحزب في الأدب.

آخر وظيفة كان يشغلها مديراً للملحقيات الصحفية في وزارة الثقافة والإعلام ببغداد.

أحال نفسه على التقاعد سنة ١٩٨٢.

استقر به المقام في المانيا، حيث توفي فيها في ٧/ ٦/ ١٩٨٤، ونقل إلى العراق ودفن في النجف الأشرف.

له ديوان معدّ للطبع، وعدّة مقالات في نقد الشعر تدلّ على أصالة ذوق، وغنى فكر، وثقافة واطلاع.

تأثر في أول حياته بالشعر الخطابي فاحتذى عمر أبو ريشة وبدوي الجبل. ثم تعرَّف إلى الشعر الحديث في العالم فأعجب بـ«لوركا»، وافتتن بشعره الطافح بالصور واللوحات المغريات، كما راقه «بابلو نيرودا» واستثاره «إليوت» بأسلوبه الفني العالي السهل المعقّد الذي عبَّر به عن مأساة الحضارة الغربية الراهنة، ، هذه الأرض الخراب، فاتجه نحو الشعر الحر، والتزم الواقعية الحديثة.

ساهم في حركة الشعر العربي الحديث وأغنى الشعر الحر بنماذج من شعره المتطور، وأسهم في ترسيخ المدرسة الشعرية الحديثة.

كانت قصائده أو بواكيره تتباين من حيث الصياغة والبناء الشعري واللغة وحرارة التدفق فهي (رومانسية) أحياناً، وثائرة خطابية في كثير من الأحيان، تلهث كلماتها وراء القدرة العجيبة في زحم المعاني والمترادفات والتعددية في الصفات والأحوال. ويؤخذ عليه بعض التعمل في تجاربه وكثرة الإفاضة في بسط فكرته، لكنه سار نحو التبلور، بعد أن ترك صفحات ناصعة من أشعاره.

من الدراسات التي صدرت عنه كتاب (كاظم جواد) تأليف الأستاذ خالص عزمي (بغداد ١٩٨٩).

ذلك هو المبدع المثقف الذي كان على قدر كبير من الاستيعاب لشروط العصر، ومواكباً لتحولاته ومتغيراته.

الصامدون

[لقد كنت تحمل رمادك في ذلك الحين إلى
الجبل، فهل تحمل الآن نارك إلى الوادي؟ . .]

من لوعة الأحزان، من سأم الليالي الخاويات
من وحدتي المحمومة الدكناء، من ليلي المرير
عيناي مطبقتان في نهم على كون مضاء
. . . . . .
كوخي المجصص، والدجى، والسامرون
ولهيب مدفأتي القديمة، حيث تحتضن الظلال
أضواءها المتبعثرات.
وكأذرع الموتى، هناك، تعوم في الأفق البعيد
بعض السنابل، بعض دفلى، بعض غابات النخيل
ونساؤنا الثكلى، ووحشتنا، وجارتنا العجوز
ـ بالأمس سيق وليدها الواعي إلى ليل السجون ـ
معروقة عمياء، تطرد بالتعاويذ الهموم
وعويل جائعة يمزق هدأة الصمت العميق
أبداً ولا وجه يعبر عن حبور
لا بسمة تشدو، ولا وجه يعبر عن حبور
والموت والاقطاع يفترسان أعشاب القطيع

وبلا ربيع
ستظل أيام الكسالى الخانعين بلا ربيع
والليل، والحمى، وحراس الحقول من اللصوص
ـ ككلاب قريتنا الهزيلة ـ من طوىً متوحشون
والخوف، والأرض الحزينة، حيث أشداق الخريف
عبر الفصول الغبر تزدرد المروج
ولقد مللت مدينة الأوغاد حيث الجائرون بلا ضمير
وبلا دم وبلا قلوب
وبلوت ألوان المصائب، واغترفت شذى الحنان
من قلب طائشةٍ، أراقت عبرة اللحن الأخير:
«قد مات حبي، جف ينبوع الرؤى واحسرتاه»
وتلوتُ إنجيل الحياة الرث في نهمٍ شديد
وخرجت باللاشي، إلا من أغاريدٍ حِرار
«يا اخواتي الرفقاء، ما زالت أباطيل القرون
تستعبد التاريخ. دكوا صخرة الماضي الأثيم
لا بد من شيء جديد»
وسئمت آفاق المدائن حيث تنتصب البروج
وعلى أعاليها يرفرف بيرق الخزي الشنيع
والليل والغرباء ـ مصاصو رحيق حياتنا ـ
والساقطون فرائس الزمن المريض
التافهون الماسخون
بعض الشعارات النبيلة من أغاني الصامدين:
«أواه دعهم، يا رفيق الدرب، دعهم، يهزأون

بهمومنا المترنمات
بدموعنا المتحدرات
بسجوننا، بقيودنا المتحجرات
أواه، دعهم، إنه الطوفان يكتسح السموم
والعار من أرض العبيد».
. . . وغمرت قلبي بالرماد
ودفنت أحلامي الوضيئات العذارى والورود
وثكلتهن بلا دموع
وجنحت في آلامي المتوقدات
من نقمة الموتى، ومن أحقاد مجتمع هزيل
وعدوت، لا كانت رؤى الماضي البليد
والريح تطرق باب أحلامي ترن وتستعيد:
«امخر بزورقك العباب
أبداً عذارى اليم تؤنس وحشة الأفق السحيق».
وعدوت لا كانت رؤى الماضي البليد
وهرعت للكون المضاء
وعلى مدينتهم بصقت، أدق باب المستحيل
عبر الممرات الوعيرة، والدماء
من جرح أقدامي تسيل
والشوك، والدرب الطويل، وأمنياتي المطفآت
وصدى صلاة
عذراء تصعد للنجوم
أمشي، وأسأل وحشتي الدكناء عن نجم بعيد

زاه، ينام وراء أمواج الرمال
والصمت، والأشباح، والقلق المبيد
وحش يطاردني إلى صحراء قاحلة السهوب
مجهولة الأبعاد، تسبحُ في بحارٍ من جليد
حتى لمحت، على طريق الشمس، قافلة ونار
من حولها رفقائي الأحرار في احساسهم
يتدفأون.

مجلة (الآداب) ١٩٥٤

أحد والحرية والربيع

. . . وودعَ المدينةَ الرفاق
واهتزت الأعلام فوق أذرع الرياح
كأنها في الأفق، عبر السهل، والحزون
لآليء البحار.
من هؤلاء الذاهبون؟ هؤلاء، هؤلاء:
الكادحون: من حريب، من مهيض، من فقير
والزغردات السمحة الخضراء، من بعيد
من العذارى تسكب الضياء
في بسمة الجنود.
وقام فيهم حمزة خطيب:
«يا اخوتي الرفاق
حكام مكة اللصوص أشرعوا الحراب
ها هم أتوا، لينشروا الدمار والخراب
ها هم أتوا، ليخمدوا مشاعل النفوس
ها هم أتوا ليثأروا، ليكسفوا الشموس»
والموت، والأصداء، والرايات، والصهيل
كصرصرٍ هائجةٍ تمزق الغيوم
وتمطر الرجوم

والنسوة السمر اللواتي أترع السلام
عيونهن بالهوى، ورطبت رؤاه
ثغورهن بالمنى، ينقرن في الدفوف:
«نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق»
يا لقلوب رثةٍ، مسعورة النشيد
يثرن في رجالهن شهوة الحروب
شوهن معنى الحب، معنى لوعة الفراق
ونشوة اللقاء.
الحقد، والمال الوضيع، بلّدَ القلوب
وحجّر العقول
ومرّغ الأرواح في مستنقع كريه
وأجّج الأطماع، والآلام، والغرور
واستنزف الدماء:
وانهمرت سيول
وحمحمت خيول
وزمجرت طبول:
«وغى وغى وغى وغى
حر الحرار فالتظى
يا حبذا يا حبذا...»

التدمير، والتقتيل، والهموم
أيا ترى حلت بكل بقعة سدوم؟؟
وحمزة الصبوح
يومض في الساحات، حيث ريشة الاخاء
بيضاء في خوذته، تداعب النسيم.
وقائد العبيد
ابن المراعي، والصحارى، ذلك اليتيم
يهيبُ بالمستضعفين «وحدوا الصفوف
في جبهةٍ واحدة تحت لواء واحد مهيب
لا تحملوا الأسلاب والغنائم الثقال
لا تجهضوا الأرحام، لا تستعبدوا الكهول
لا تحرقوا الحقول
نحن رجال الحب والأحلام والهناء
نستنكر الحروب»
وأزّ في الحشود صوت شاعر عميق
كأنه هزيم يمٍّ صاح «يا طغاة
لن تعدم الشعوب في محنتها محررين صامدين
وثائرين ثورة الربيع بالحياة
وبالدماء في عروق الأرض، في الربى
تفجّر العيون»
والتمعت شجيرة حمراء في السهول
عبر الرمال الظامئات للندى الطهور
وللشذى، ولليناييع، وللطيور

أوراقها الحمر اللواتي رُصعت كروم
على مدى عقودهن، بدتت هجير
وسلسلت نمير
وفيه سالت حرةً دماءُ كادحين
من واهبين للعصور بهجة الحياةَ.
واحتضن الراية في مرقده الشهيد،
ورن يقفو ضجةَ الحمى صدى عويل
وشهقةُ الجرحى، وقتلى خضبوا الأصيل
فاشتعلت شموعه الحمراء كالحريق.
وأهرقت دموعها عرائسُ الغروب
وسال في البطاح صوتُ أسودٍ رخيم
رن الصدى، فرددي يا هذه السهوب
أصداءَ قيثارته المسحورة الرنين
أودعها فؤاده عزيمة الزنوج:
«وبشر الذين ماتوا ميتة النسور
فوق الذرى، فوق الأعالي، بشر الرفاق
لنا غد، لنا المغاني، والقرى الوضاء
حيّ على الفلاح
حيّ على الفلاح»
يا حمزة الشهيد:
يا شعلة الرجاء، يا كوكبة الرجال
مثلك آلاف الضحايا في مدى الزمان
عانوا ـ وما زالوا ـ يعانون من الطغاة

عوادي الإرهاب، والتشريد والسجون
معركة الأجيال لن ترهبها جيوش
ولا قلاع شاهقات أنهكت شعوب
وأججت حروب.
يا أيها الطغاة
يا لعنة الفجور، يا مهازل السنين
لن تعدم الشعوب في محنتها محررين صامدين
وأبرياء معدمين ناقمين.
قد نهض العبيد وانسل الصدى الجموح
من صرخة الشعوب
وها هي الأرض التي دنستموها تستفيقُ، تستفيق
على لظى، على صراخ «شددي النضال
في جبهةٍ واحدةٍ تحت لواء واحد مهيب
يا ثورة العبيد»

مجلة (الآداب) ١٩٥٤

مذكرات مسافر

ماذا سأكتب عن شوارعك المضاءة من دماء
ودموع شعبي الكادح المحزون في ليل العراق؟
ماذا سأكتب يا مدينه؟
فعلى ملامحك العجاف تجوب أخيلة الضغينهْ
سأقول: إنك توقدين
مصباح عارك من دم الموتى
وجوع الآخرين
مهلاً وأنك تشربين
مائي، وبترولي، وأنك تبصقين
آلاف آلاف الرجال، وتقتلين الطيبين
بالأمس في رمل السويس، وفي روابي بور سعيد
والآن في عمان، حيث الموت، والدم، والحديد

لندن ١٢ تموز ١٩٥٨

يا أيها الخلجان، يا أفقاً توشحه السكينه
يا زهرة في البحر هائمة على جرف المدينه
الآن ألمح ضوء نجمه
عبرت على الأفق البعيد كأنها خفقات نغمه
والآن أسمع في ضفافك صوت أغنية خفيه

تحبو على الأمواج، قادمة مع الريح الرضيه
من أين؟ من وطني البعيد، أيا عراق، أيا عراق
لو أن لي في الفجر أجنحة لجئتك بالعناق
متلألئاً مثل السهول، مصفقاً كمياه دجله
مترنحاً كظلال نخله
من فورة الفرح العميق، من الربيع، من انتصاري
وهبوب أضواء النهار
خضراء تغمر بالصفاء حديقتي، وسياج داري
لو أن لي، أواه، أجنحة لغنيت الرحيل
يحدو بي الأمل الوليد إليك يا وطن النخيل
أواه يا وطني البعيد
أواه يا وطني البعيد

استوكهولم ١٤ تموز ١٩٥٨

أنا في لقاء والشعوب: أنا سأرحل للعراق
فأحس ألف يد تصافحني، وأغمر بالعناق
وأظل أبكي والدموع تشع فرحتي الطليقه
أنا ههنا حر، وأني همس أفئدة رقيقه:
«مرحى لموطنك العظيم، فخذ لبغداد التحايا
إنا مع الفجر الكبير سنلتقي، نحن الضحايا
نعدو إلى الينبوع مخترقين
نيران المعارك والرزايا»
مرحى وألف تحية لكفاح كوكبنا السعيد

يا أخوتي المترنمين بمجد موطني الوليد
أنا عائد فإلى اللقاء، إلى اللقاء
في عالم ثان سيولد من ينابيع الضياء
ومن المحبة والسلام
ومن أساطير الدماء

استوكهولم ١٦ تموز ١٩٥٨
«في مؤتمر التعاون بين الشعوب»

أبواب سورك في الصباح تمد أذرعها الدفيئه
للقادمين إليك عبر خرائب سود صديئه
ماذا تبقى غير سورك؟ أو قباب دون قمه
ومنازل مهجورة في عالم لم يرع ذمه
ما كان يعرف ما الهوى، ما الحب، ما بسمات رحمه
لكن هتلر لم يمت، في الأرض آلاف كهتلر
متعطشون إلى الدم المسفوح، مسعورون أكثر
فهناك صوب الغرب، حيث الحقد، والدم والطلول
في اللافتات، وفي الشعارات الصفيقة والطبول
تتوعد الأسعار تاريخ الحضارة والشعوب
وترن صيحات الحروب
برلين إني عائد، ماذا سأكتب عن رحابك؟
سأقول أنك يا جميلة قد أعدت رؤى شبابك
وأقول إنك يا كريمة تفتحين رتاج بابك
للوافدين إليك، كي يجدوا المعامل والحقول

خضراء من بعد الذبول
فإليك يا برلين أشعاري وأشواقي وحبي
وإليك يا أخت الشعوب تحيتي وسلام شعبي

برلين ٢٧ تموز ١٩٥٨
«مؤتمر الحضارات الشرقية»

الأطفال والمجزرة

قتَلوها،
تحت جنح الليل سفاكو الدّماءِ
عَبْر صمت الشارع المحزون، مبحوح النداءِ
كان كالظلّ وراح:
«قتلوها،
قتلوها»
قتلوها
عَبْرَ عَتماتِ الطرقِ
تحت همس الشجر المذعورِ،
في الريح الصفيق،
كان شيءٌ.. يضمحل
كشراعٍ غاب في الأفق البعيدِ
خلف موجات الغيوم السودِ
في الليل المديدِ
كان شيء، كان في نفسي يحْبو
غير شيءٍ كان يحبو
مللي من وحشة الليل، ومن صمتي،
وحُزْني

لم يغب طيلة ذاك الوقتِ عني
كأس بغداد، مقهورٍ مملّ
ونجوم كفوانيسَ خفيّاتٍ تُطلُّ
كلُّ شيء يضمحلُّ
فوق أشجار النَّخيل المستريبات الرّواني
والعصافير الحواني
وقلوب تسأل الليل عن الدفء، عن الحب،
عن الفجر الجميلْ
يتمطى فوق غابات النخيل
كنت في الليل الغريبِ
كنت كالظل الكئيبِ
ووراءي عبرَ الموتى على الأرض الموات
غمغمات شاحباتْ
عبر أبوابِ حيارى مغلقاتْ
وشبابيكَ كأفواه العطاشى مطفآت
وعواء يخزُ الأفق، وآهات تحوم
وخطىً تعدو، ومصباح وحيدٌ، ووجوم
كلُّ شيء كان في الظلمة يغفو
جثث الموتى، وأشباحٌ على الأسوار تطفو
خلف جدران النهارِ
والضياء المتواري
كان من غوريَ شيء محرقٌ يقتات ذاتي
كلهيب الحقد يغتال حياتي

بَيْدَ أني كنت أصحو :
«قتلوها، قتلوها، قتلوها»
كان جرحُ
رضع الأحقاد من خوف العبيد
من ليالي فلوات الرعب، والموت العنيد
كان شيء محرقٌ يعصر ذاتي
كان صوت الطفلة المخنوق عبر الطُرقاتِ
كنت لا أدري، وكانت حسراتي
تتخطّى خطواتي :
«قتلوها، قتلوها، قتلوها»
وهي تعدو وخطاها
يُلهب الخوفُ صداها
عبر ليل الشارع المفؤون تعدو
وتشدُّ
فوق كفَّيها على شيء تشدُّ
في المساء اللاهث الأصداءِ،
جاء المخبرونْ
ينشرون الرعب من باب لبابِ
في جنونْ
في المساء الخامل المدحور كانوا ينبشونْ
غُرَفَ الدور، وكان الهاربونْ
شهقاتٍ من خطى عبر المنازلْ
ولقد فرَّ مناضلْ

واحدٌ من غمْرة الشعب المقاتلْ
تاركاً في الغرفة التعبى قصاصات جريده
نقلت أحرُفُها الخضرُ أقاصيصَ سعيده
عن شعوب تزرع الأرض وتبني
مُدُنَ الفجر الجديده
كانت الطفلة تعدو
تلهب الدرب على تلك القصاصات تشدُّ
تقتفي آثار رجليها جديله
وسكاكين من الرّعب طويله
برهةً، ثم تلاشى الصوت، كان الظلّ طفلا
كان جند الليل خلف الظلّ سيلا
كان شيئاً ناصل الألوان في الليل اضمحلا :
قتلوها، قتلوها، قتلوها . .

حسين مردان[1]

ولد في طويريج (الهندية) عام ١٩٢٢ ونشأ في قضاء الخالص، ونزل بغداد منذ عام ١٩٤٧ ليصفع سكينة الناس في العاصمة، ويعيش مثقوب الجيب، منتفخ الوجه، غاضباً، ضاحكاً، لامبالياً يتحدث عن كل شيء دون أن يعرف شيئاً سوى رنين الشعر في رأسه.. كما يقول رشدي العامل.

عمل في صحف متعددة: صوت الأهالي، البلاد، الأخبار، المستقبل، ألف باء مصححاً ومخبراً وكاتب مقالة صحفية.

ومن أبرز أحداث حياته مساهمته عام ١٩٦١ في مؤتمر موسكو لنزع السلاح، وفي السنة الأخيرة من حياته عين موظفاً في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون وراح يعد العدة لاستملاك شقة في اسطنبول يقضي فيها شيخوخة هادئة ولكنه في ٤/ ١٠/ ١٩٧٢ توقف قلبه وقضى الأمر وكان السبب المباشر لذلك مخالفته الوصايا الطبية ومحاولة ظهوره بمظهر المحب الواله حين سمع بامرأة كان يكتم حبها تنوي زيارته وتقديم باقة ورد إليه.

وقائمة آثاره طويلة منها ما هو شعر، ومنها ما هو قصة، ومنها المقالة الصحفية والنقدية.. وفي عام ١٩٤٩ صدرت قصائد عارية، و١٩٥٠ اللحن

---

(١) اقتبست بعض سطور هذه السيرة من مقالة الأديب عبد الجبار داود البصري المنشورة في حقل (شعراء في ذاكرة المربد) في جريدة (الجمهورية) البغدادية.

الأسود، و١٩٥١ رجل الضباب، وصور مرعبة، و١٩٥٢ عزيزتي فلانة و١٩٥٥ مقالات في النقد الأدبي، ونشيد الأنشاد. وهلاهل نحو الشمس، و١٩٦٠ أغصان الحديد، و١٩٧٢ الأزهار تورق داخل العاصفة. . وهنالك مؤلفات أخرى غير مؤرخة: الأرجوحة هادئة الحبال، الربيع والجوع، طراز خاص، العالم تنور.

صدرت عنه دراسة بعنوان (من يفرك الصدأ؟) أو حسين مردان في مقالات له كتبها د. علي جواد الطاهر.

ورغم كثرة آثاره وتنوعها إلا أن الذين كتبوا عنه ركزوا على حياته الدراسية المأساوية، وعلاقاته الشخصية، ونوادره.

وحاول أن يؤسس لاتجاه شكلي جديد في الشعر دعاه بالنثر المركز وظلت دعوته ومصطلحه قاصرين عليه.

وحاول أن يكتب المقالة الأدبية والصحافية وكان نجاحه في ذلك محدوداً بحدود الزمن الذي نشرت فيه.

وإذا كان حسين مردان قد عرف بروحه المرحلة، وحبه للدعابة، والنكتة فإن قارىء شعره يعرف هذا اللون في صوره وتشبيهاته كأن يزرع فوق ثغره اليبس ناطحة السحاب، أو يجعل الشرر يخرج من بين شفتي حبيبته قمر:

قمر
قمر
قمر
وتسطع الصور
الشمس والحالوب والألوان في السحر
قمر

أحلى من السهر
أحلى من الغناء في مضارب الغجر
حاجبها وتر
وعنقها ثمر
وثغرها مدفأة تقذف بالشرر . .

كان حسين مردان بوهيمياً في أفكاره وتصرفاته، وقد أصدر عام ١٩٤٩ مجموعته الشعرية (قصائد عارية) وأحيل على المحاكم، لاتهامه بنشر الفساد والإباحية، وكان معجباً بنفسه، شديد الاعتداد بها، وهو يقول: «لم أحب شيئاً مثلما أحببت نفسي فإني المارد الجبار».

ويظل حسين مردان وجهاً بارزاً من وجوه الجيل الخمسيني، يتناقل الكثيرون أخباره ونوادره، ويذكره الذين عايشوه ونادموه بإعجاب ومودة، ويتساءل الآخرون عن سر حسين مردان؟

توفي عام ١٩٧٢ إثر نبوة قلبية.

قمر

قمر
قمر
قمر
وتسطع الصور
الشمس والحالوب
والألوان في السحر
قمر
أحلى من السهر
أحلى من الغناء في مضارب الغجر
أحلى من القمر
قمر
حاجبها وتر
وعنقها ثمر
وثغرها مدفأة تقذف بالشرر
وكفها لو مرّ بالحجر
لأينع الزهر
أحبها
أحب في مشيتها الحذر

كأنها تمشي على درر
أحب في عيونها الحور
أحبها
أحب من خلالها البشر
قمر
قمر
قمر

النهاية

أيامنا مرت سدى
مرت سدى
وضحكنا قد انتهى
ولم نزل نغوص في طين الرؤى
وأنت عين تلتظى
بلا سنا
ومبسم بلا منى
ولا لمى
تحلم بالرجوع
أو بالملتقى
والموت في وادي الأسى
يصيح في وادي الأسى
مرت سدى
أيامنا مرت سدى
وضحكنا قد انتهى
وكل ما نحمله من الهوى
إلى الثرى .

١٩٥٢

الحب والموت

وراء سور الليل . . في الصمت
من عالم الصمت
يصرخ بي صوتي
يصرخ بي عبر المدى صوتي
كأنه موتي
الفجر!
لن يطلع،
لن يأتي
وأنت يا أنت
يا فوهة التنور . . يا أختي
في الشوق والموتِ
يا ضربة الكبريت للزيتِ
النور لن يشرق من ميت
لن تطلع النار من الميت
وفجرنا؟
لا تفزعي:
الفجر لن يأتي.

(الأرجوحة هادئة الحبال ١٩٥٧)

الظل والغابة

قالت لن أضحك يا شاعر
لا لن أضحك
لن أرسم في شفتي السفلى
لون التفاحة للطائر
فتحرك في عين اليمنى
جو آئم
وتململ في قلبي الهائم
شبح نائم
وانهد على الوتر الطاهر
لحن الكورةِ والزنبور
يا لي من وجه مكسور
يحلم بالوردةِ والنور
يا أخت «البلبل» يا نسمه
يا ثغراً يلمع كالنجمة
كانت قسمه
أن تسقط في الماء الفائر
قطعة مرمر
ويذوب الأبيض في الأسمر
فلك الشكوى
من غرفة شمع في صوره

من عصفوره
تسرق من نومي البستان
فالليل دفاتر أحزان
والفنجان
ماذا يوجد في الفنجان
عنها . . عن ماء الرمان
عن حب ذهبي المعنى
هل مال الخيط على المغزل؟
لا يوجد في الوقت الحاضر
غير الأفعى والقيثار
وبقايا سور ينهار
وشمعدان
وحقيبة انثى ستسافر
فاهتزت في روحي النار
يا للبلوى
سيروح الظل مع الغابة!
ولمدة شهر أو أكثر
سنعيش بلا عشب أخضر
فخذي من معصمها الأملد
من وجنتها
من مبسمها
من هفهفة الشعر الأسود
لمسات للكف المجهد

١٩٦٩

المرقص الشرقي وعينان خضروان

بحر بلا قرار
وتعبر المرقص أمواجٌ من الألحان
حقل من الخطا
الله يا مزارع البلغار!
وأنت يا رائعة العينين
وأنت مني أين؟
أغرق في عينيك
في ضياعي
أحلم بالسهول والمراعي
يحملني شراعي
ما بين أهدابك في بحر بلا شطآنْ
يا سندباداً
تاه في مجاهل البحارْ
من أين أقبلت إلى معابد البلغارْ؟
المرقص الشرقي والألحانْ
والمرقص الشرقي والكؤوس والدخان
تعصف بي
يأخذني الدوار
يلتفّ حولي البحر

ينبهني
أتيه فيه، أسلم القياد
أحلم في بغداد
وتصعد الموجةُ
تدبك الخطا
تهلهل الألحان
فأستفيق
وإذا المكان
المرقص الشرقيّ
وإذ بعينيك هما البحر الذي
ليس له شطآنْ
واستحال الدم المر طلعاً
وما أثمر الطلع فينا
ولا أثمر الدم فينا
وظلَّ اتفاق مواسمنا مبهماً
لا تقولوا طريقك يفضي إلى الموت
أعرفه
أعرف أنكمُ
تفسدون عليَّ مروءة موتي . .

احتجاج

اخلعوا عني جميع الأوسمهْ
ارفعوا عن جبهتي كل أكاليل المديحْ
إنني أرفض جرح الكلمهْ
أنا لن أسألكم أن تمنحوني أي شيء
أمضغ الآن بأسناني فمي
اتركوني لسلاحي
اتركوني لدمي
اتركوني لتراب لم يخنى
لم يزعزع قدمي

لن أعود
أنا وسدت هنا أجساد أوفى أصدقائي بيدي
فاض على وجهي وغطّى راحتي
لن أعود
وإذا عدتُ
وأبصرت صغاري
وإذا زوجة جاري
سألتني

عن أخيها
عن أبيها
عن أبي أطفالها
أأقول :
إنني وسَّدتُهم في تربة أجهل في حصّة مَنْ سوف تؤول؟
أأقول
هكذا . . ماتوا؟
ذهبنا كي يموتوا؟
ثم عدنا بالمدافع
صامتاتْ
بسيول العرباتْ
وبدباباتنا مخذولةً
ترنو إليها في الشوارع
والميادين عيون الأمهات
ووجوه الصبية المنتظرين

أيها الغضب الحنظل

ارفعوا الآن أوجهكم
ولتقس كل عين مسافة ما بينها والحديد المزمجر
ما بينها والدم المتخثر
فوق الدروع
وأغطية العربات
لتقس كل عين مسافة ما بينها والرجولهْ
أيها الموصدين على الخوف أبوابكم
افتحوها
كل قطرة ضوء تلامس هذا الحديد المضمَّخ بالدم
ثم تلامسكم
يتفتح مسقطها فوق أجسادكم عن وريد
يمزق من فوقه اللحم
يسأل:
لِمَ رجعوا؟
كل قطرة ضوء تلامس هذا الدم المتخثر فوق الدروع
وتسقط في دوركم
يفجّر مسقطها الآن عن راية
كلما هبّت الريح

رشّت دماً فوق أوجهكم
وهي تصرخ :
لِمَ رجعوا؟
إنه الغضب القادم الآن كالحنظل المرّ
يحمل أوسمة الموت
يحمل إصراره في صَريف الدروع على الأرض
يحمل إصراره في جراح المدافع ترفع أعناقها
كبرياءً
ورفضاً لأحزانكم
افتحوا لمهبِّ البطولة والغضب الحنظل المرِّ أبوابكم
إنه الشرف المرتدي دمه
المتوّج بالموت
تُلوى رقاب مدافعه عنوةً عن ميادينها
عُنْوةً تتشبَّثُ بالسُّرْفَةِ الأرض
تجْأر من غيظها وهي ترفسها
عنوةً تحمل الطرق الآن وطأة هذا الحديد
ووطأة رفض الجراح العظيمةِ
أن تفتدي مَحْضَ أوسمةٍ
لا ادّعاء
ولكنه العلم المستقر على قمَّة النصر
يُخلع من جذره
ثم يُلقى لأحذية المعتدينْ
دون أن ترفع كفٌّ

دون أن يعلو جبين؟
زائف كل رنين الكلماتْ
زائف كل نشيدْ
باطلات كل تلك الخطب الملتهبة
ليس إلا ثِقل الأرض وأصداء الحديد
ليس إلاّ الصرخة المحترقة
كلما يهوي شهيد
لم أعود
اخلعوا عنّي جميع الأوسمهْ

النذور

نذر عليّ لأسْرجنَّ الشمْعَ في كَرَب النخيل
وأزفُّه لمياه دجله
نذرٌ عليّ
أخضِّبُ الأبواب بالحناء
أزرع راية في سطح بيتي
نذر عليّ
إذا سمعت الخيل تصهل،
والهلاهل
وأهلة الأعلام تسبح فوق هامات الرجال
نذر إذا ماجت «يشاميغ» الرجال
بين الأهازيج السخيّهْ
سأشدُّ خصلة شعر أختي في زناد البندقيهْ

د. صالح جواد آل طعمة

ولد في كربلاء عام ١٩٢٨م ونشأ بها، وأكمل دراسته فيها، ثم تخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٢، وعين مدرساً للغة العربية في المدرسة الغربية المتوسطة ببغداد للفترة من (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) بعدها سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٣ في بعثة ثقافية، وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٥٥ ثم الدكتوراه عام ١٩٥٧ في اللغة العربية من جامعة هارفرد الأمريكية، ثم عاد إلى العراق وعين أستاذاً في كلية التربية بجامعة بغداد، ثم عيّن معاوناً للعميد في حينها، بعدها نُسب للعمل كمدير عام للمناهج والكتب في وزارة المعارف، ثم تمَّ تنسيبُهُ للعمل في السلك الدبلوماسي، حيث عمل مستشاراً ثقافياً في السفارة العراقية في واشنطن للفترة من (١٩٦٠ ـ ١٩٦٣)، وفي عام ١٩٦٣ التحق بجامعة هارفرد، وعمل أستاذاً وباحثاً في مركز دراسات الشرق الأوسط فيها، وفي عام ١٩٦٤ التحق بجامعة انديانا الأمريكية، ونتيجة لنشاطه العلمي الواسع، فقد منح لقب أستاذ (بروفيسور) للغة العربية والأدب المقارن، وبقي يعمل أستاذاً في قسم لغات الشرق الأوسط وثقافاته بجامعة أنداينا الأمريكية لمدة تجاوزت الثلاثين عاماً وحتى هذا اليوم.

صدرت عنه دراسة بعنوان (صالح جواد الطعمة ـ دراسة بيوغرافية ببلوغرافية) كتبها الدكتور صباح نوري المرزوك (الحلة ١٩٨٦)، وكتبت عنه دراسات متعددة في مجلة (الأديب) و(العرفان) و(الورود) وغيرها.

تناول في شعره الموضوعات الوجدانية والاجتماعية والسياسية بأسلوب فني جديد، بعيد عن الصنعة والتكلف، وهو يستخدم الرمز والتكثيف، دون أن يفتقد الشفافية والانسياب. وشعره على العموم يحمل في طياته روح التجربة الإنسانية في قالب يمتاز بالكثافة والإضاءة، غني بالمعاني الجديدة، والصور المبتكرة.

آثاره المطبوعة:

١ ـ ظلال الغيوم ـ ديوان شعر (بغداد ١٩٥٠)

٢ ـ الربيع المحتضر ـ ديوان شعر (بغداد ١٩٥٢)

٣ ـ الأدب العربي الحديث (بغداد ١٩٥٩)

٤ ـ مشكلة الازدواج اللغوي بين العامية والفصحى (أمريكا ١٩٦٩)

٥ ـ ببلوغرافيا الأدب العربي المسرحي الحديث (بغداد ١٩٦٩)

٦ ـ مشكلة تدريس اللغة العربية في مرحلة الدراسة الثانوية (بغداد ١٩٧٢)

٧ ـ صلاح الدين الأيوبي في الشعر العربي المعاصر (الرياض ١٩٧٩)

٨ ـ الموضوعات الفلسطينة في الأدب العربي الحديث

٩ ـ ميثاق الوحدة الثقافية وسياسة التضامن العربي لجمهوريتنا (بغداد ١٩٥٩)

١٠ ـ الدليل إلى مؤتمرات الأدباء العرب ١٩٤٥ ـ ١٩٨٤

١١ ـ الشعر العربي الحديث مترجماً (الرياض ١٩٨١)

١٢ ـ المعجم الأساسي العربي (ش) (بيروت ١٩٨٩)

١٣ ـ قواعد اللغة العربية الحديثة (ش)

١٤ ـ الأدب العربي الحديث من عام ١٨٠٠ ـ ١٩٧٠ (أمريكا ١٩٧٦)

١٥ ـ قاموس المصطلحات اللغوية الحديثة (ش) (بيروت ١٩٨٣)
١٦ ـ الاستشهاد أو الشهيد في الأدب العربي
١٧ ـ الإسلام والتغريب في القصة العربية الحديثة
١٨ ـ التلقي الأمريكي للأدب العربي منذ أواسط القرن التاسع شعر

الليل المنهار..

إلى التي قالت لي : «إنك خلقت
للوطن قبل أن تخلق للمرأة . . »
إلى الشاعرة الآنسة مقبولة الحلى

الليل يخنق غمغمات العابرين[1]، على الدروب
ويشيّع النور المعنّى، . . للمقابر في الغروب
إلا بقايا شاحبات في السماء
لا . . . لن يشيّعها الظلام إلى الفناء
بل سوف تبقى . . . سوف تسخو بالبريق
تلقي الضياء على الطريق
وليخنق الأنفاس هذا الليل، هزءاً واحتقارا
أما المماليك الأسارى . . . لن يلذّ لهم سكون
ما دامت الأنّات يوقظها رنين،
رنات هذا الغلّ يعبث بالمماليك الأسارى
يقسو عليهم بالعذاب، أسى وعارا
فترنّ أغلال، لتلقم أوجه الأسياد
نارا

(١) يقول الأستاذ بدر السياب: الليل، والسوق القديم، وغمغمات العابرين.

صوتاً ونارا . .

في الحانة الحمراء . . عربدة الكؤوس بلا انتهاء
تهزأ بصمتك يا ظلام
والقهقهات من السكارى، لن يكفنّها منام
ما دام خلف الباب، باب الحان، أبناء الشقاء
يتسابقون إلى البكاء
فلعلّ أكؤوسهم ـ إذا ظمأت ـ ترويها الدموع
أوّاه! ترويها دموع الأشقياء؟
فتظل عربدة الكؤوس، بلا انتهاء
تروى وتروى بالدموع، فلا يمرّ بهم هجوع!
إلاّ إذا جفّت عيون الأشقياء،
ـ من دمعها المنساب خمرا ـ عند ميلاد الضياء
في الصبح . . . حيث تموت عربدة السكارى بالبكاء!

الليل يخنق أغنيات الراقصين على النواح
أضناهم الرقص الطويل، وأسكرتهم كأس راح
أما الشكاة . . فليس يضنيهم نواح
ما دامت الأنّات تزفرها الجراح
فيظلّ هذا النوح يعلو . . . سوف يوقظ من ينام
ليعود للرقص السعيد، على النحيب
نشوان . . ينشد رغم صمتك يا ظلام
حتى صفير الحارس المنهوك . . لا يفتأ يرنّ

ليظلّ . . يغمر هؤلاء الراقصين . . غنى وأمن . .
وهناك . . لا يبدو الظلام يشيّع النور المعنّى . .
أو يخنق الأصوات ، يبعثها سعيد أثر مضنى
فالأنجم الربداء ، في الأفق الرحيب ،
تلقى السنى ، عبر الدورب
ورنين أغلال الأسارى ، أو دموع الأشقياء
والراقصون على المآثم والنحيب
حتى السكارى أو صفير الحارسين على المآثم والذنوب
يمضون بالليل المشيّع للفناء !

ديوان (ظلال الغيوم ١٩٥٠)

الخطيئة..

«لم تكن تشعر، يا قلبي، بالخطيئة، في هواك،
الذي أوشك أن يحطم قلبين ضمهما عناق خالد،
ولكنك صحوت، بعد حين، على صرخة الخطيئة،
فعدت مثقلاً بعذاب الضمير..»

غاب في المغرب، خلف الأفق، ظل من حنان،
كان بالأمس، نديّاً بالأماني
بالهوى المعطار... بالأحلام نشوى في حماه
كلما شدت عليها النار، بالجرح الخضيب
وأحست بالظما المسعور، في لفح اللهيب
مسح الظل عن الجرح، أذاه
وتروّت من نداه!
لن تكون الظل، يا قلبي، ولا تلقى هواه
عد، ودع عفراء، تلهو برؤاها،
تتمنى الظل يحييه الربيع،
فالخريف الظامىء النشوان، أروته دماه
لم يدع في ظلها الحاني، بقايا من دماء
فتهاوى عند أقدام الشتاء
وبدت منه، لعينيها رؤاه

فتمنت تلك، عفراء، سيحييه الربيع
وستبقى في انتظار، تسكب الدمع، لترويه الدموع
إنها لم تنس عطر الظل، لم تنس هواه!

قلبها المترع بالحب، بألحان الوفاء،
يتغنى باللقاء،
بالربيع العائد، الحاني على الظل الدفين،
تحت أكداس الثلوج،
يغمر الأرض بأعشاب المروج
فتروّيها بقايا الثلج ينساب عن الظل الدفين!
تلك أحلام.. تلاشت كالسراب
أين منها نشوة اللقيا، وأفراح المآب؟!
هي ما زالت على عهد هواها
عد، ودع عفراء، لن تيأس منه، من لقاء،
لن تكون الظل، يا قلبي، فدعها تتغنى بالوفاء
تتلهى برؤاها..
كيف يحلو لك أن تعبث بالقلب الغريب؟
ضمه المغرب، في الليل الكئيب،
وتوارى... فتوارى الظل عن قلب معنّى بالندوب!

وغدا، إن عاد، يلقانا نشاوى في عناق؟!
كيف يحلو لك هذا المشهد الزاهي، على أشلاء حبه؟
لم تمزقه سوى أيديك ـ يا للاثم! ـ لم ترفق بقلبه؟!

أيعود الغارب النائي، ليلقانا نشاوى، في عناق؟
كيف أقبلت عليها؟
ـ آه مستك الخطيئه
عد إلى «الهيكل» تستغفر عفراء، فقد كانت بريئه!

ديوان (ظلال الغيوم ١٩٥٠)

الضريح المهجور..

الشمس يدفنها الغروب،
خلف التلال. . .
والعاصفات الهوج تنذر بالوبال،
فتفر ذرات الرمال،
لتنوح في الوادي الكئيب،
عند القبور المقفرات، من الحياه
إلا من الفزع الرهيب يدب في درب السراه
حتى الكواكب في السماء؟!
ضنت، بما تلقى علينا، بارتعاشات البريق
فتظل أقبية الطريق،
تسلو بإسراء اليتيم، بلا انتهاء
لتبوح وحشتها الحزينة للخليِّ من الشقاء!!
حول القبور الناضبات من الحياه
إلا من الرعب المعربد، في الطريق، على السراه!

عبثاً، يطول سراك، في الليل البهيم
تهفو إلى شدو الأمومة، عند مهدك، يا يتيم
فاللحد آنسه غناها المستطاب

والقبر داسته الرياح العاتيه
لم تبق منه سوى تراب
يعدو ويعلو للسماء الحانيه . .
يأوي إليها، مثلما آويت ـ أنت ـ إلى القبور
خوف العذاب، وخوف عاصفة الشرور
يعلو ويعلو ثم لا يلقى الحنان!
حتى السماء تريه ألوان الهوان؟!
فيظل ما بين السماء، وأرضه، رهن اضطراب
أفلا اعتبرت وعدت عن ألق السراب؟
ـ لا . . لم تعد . . ما زلت، مثل الرمل، في الليل البهيم
تهفو إلى شدو الأمومة، عند مهدك، يا يتيم!

عد يا يتيم، إلى أبيك، فكم يؤرقه حنين؟
لا زال، عند الباب، يلهو بالأنين . .
والليل أوشك أن يذوب
أفلم يحن لك أن تؤوب؟!
عد يا يتيم، إلى أبيك، فقد أطال الانتظار
والناس في أحلامهم يتنعمون
والأمهات! لقد حضنَّ «قلوبهن» بلا هموم
فبقيت وحدك يا يتيم . .
لا أم تحضن قلبك الموهون، في الليل البهيم
لا من يواسيه ولا لك من عزاء!
إلا شرودك . . فوق أشلاء خبت أنفاسها، بين القبور

وستستعيد حياتها يوم النشور
وهناك . . تحتضن الأمومة قلبك الواهي الكسير
أما أبوك فلا يزال يئن . . . يحلم باللقاء
ما زال يحلم باللقاء، ويستفيق على ظنون
فارجع إليه، وخل عنك رؤى الجنون
حتى المال ـ وقد غفت عنها الرياح ـ
عادت إلى «الأم» الحنون
لم يبق، في الوادي، هدير أو نواح
إلا سراك ـ إلى ضريح الأم ـ يغمره الأنين
والأم، لم تعد الأمومة تستثير بها الحنين
لابنٍ يحرقه انتظار أو شرود . .
عد لن تراها . . لن ترى أماً تعود!
عد يا يتيم . . إلى أبيك فقد أطال الانتظار . .
ما زال عند الباب، رهن العاديات من الظنون،
تهب الأسى . . نهب احتضار!

« . . . لا . . . لن أعود، فلم تمت أمي فأنى لي أؤوب،
وشجيها المبحوح يعلو، من هناك، من الضريح،
تصغي إلى شكوى تبوح بها جروح:
أنسيتني يا أم أم لا؟ . . تذكرين
أنا افترقنا، والوعود(على شفاهك، بالمآب؟)
فبقيت منتظراً على شوك الدروب
وحدي تواسيني الندوب،

وحدي هنا، لا زال يدفعني الظما . . . أإلى سراب؟
فأظل أحلم بالمآب . .
وتمر أعوام عليك، ولا تثير بك الحنين،
لابنٍ يحرقه انتظار أو شرود
أدفنت حتى أنت، يا أماه، أحلام الوعود؟! . . .
وترنّ أصداء، هناك، تبعثر الصوت الحزين:
عد يا يتيم وخلّ عنك رؤى الجنون،
عد ليس من أمٍ هناك، تئن أو ترجو لقاك
فالأم لم تعد الأمومة تستثير بها رؤاك
عد لن تراها . . . لن ترى أماً تفيق على نداك
فاللحد آنسه غناها المستطاب،
وضريحها المهجور داسته الرياح العاتيه
لم تبق منه سوى تراب
يعلو ويعلو للسماء الحانيه
يأوي إليها مثلما آويت أنت إلى القبور . .
خوف العذاب وخوف عاصفة الشرور
وستنتهي حتى العواصف والرياح العاتيه . .
فتعود ذرات التراب لأمها . . للأرض، آمنة تعود . .
أما فؤادك يا يتيم، لمن يعود؟!

ديوان (ظلال الغيوم) ١٩٥٠

العائد

لا زلت أذكر كيف عاد بي الطريق،
قلق الملامح، واجم اللحظات، يعبث بي الذهول
وبراعم الأحلام ينثرها على الأرض، الذبول
وتكاد أنفاسي تضيق
والذكريات، تطل، في ذعر من الماضي، تفيق
ما ذا أثار الذكريات؟
السحب، والأغصان عارية، أم الحقل الموات؟
أم مشهد الأكواخ، تهجر خوف عاصفة الشتاء؟
والدوحة الزهراء، أوحشها الخريف، فلايرن بها غناء

* *

لا زلت أذكر يوم عاد بي الطريق
وأنا أحن إليك، للسلوان، للقلب الرفيق
شفتاي دبّ عليهما الصمت الثقيل
وتنهدات الصدر، تسأل عن حنانْ
وفؤادي المذعور يخفق، كان يخفق كالجبانْ
لكن وجدتك تجهلين السر، يغمرك الذهولْ
مذعورة مثلي ـ وفي ولهٍ عليَّ ـ ترددين:
«ما ذا دهاك؟

لمَ عُدْتَ واهي الصدر، ما سرّ الأنينْ؟
وبقيت في إشفاقة تتساءلينْ؟
لِمَ عدت ما ذا قد دهاكْ؟»

* *

وشفاهي الولهى، تضن عليك بالسر الحزينْ،
لكن سمعت تنهدات الصدرِ تصرخُ في جنونْ:
لم يهجر الكوخ الرعاه؟
وخمائل الروض المظلل، كيف تقفر من حياه؟
والطير، ماذا يخرس الطير المغرد في مراحْ
فيطير عن وكن، يعز عليه، مبتل الجناحْ!
والريح تنحب في جنونْ!
كانت تضن عليك بالبوح الشفاه،
لكن سمعت السر من صدري، ومِنْ ألق العيونْ
فتألقت عيناك بالدمع المضاع.
تبكين زهراً، لا يُروّيه بكاء والتياعْ!
فلقد مضى عنه الربيع،
والناهلُ الأشذاء ولّى، لم يعد زهري يضوعْ!

ديوان (الربيع المحتضر) ١٩٥٢

الأرض تلك، لنا...

وتمرّ كالأحلام جذلى، كالعرائسِ، كالربيعْ
أعوام قريتنا الطويلة، وهي بالأشذاء ـ آمنة ـ تضوعْ
وترى بنيها السُمْر، في حلقاتهم، يتباركونْ،
بالأرض، طيّبة الثمار. بنبعها الصافي النميرْ
والغاب، كم شهد الجموع، كأنه يوم النشورْ!
أبداً تغني بهجة بالعيد، بالأرض الحنونْ!
لا زلت أذكرها، وألمح كل ذكرى، من بعيد
عند المروجِ الخضر، والينبوع، في الوادي السعيد
الجدول السمْح النديّ يفيض يمناً أو رخاء
والقرية المطراب آمنةً، تنام وتستفيق
وحدائق الأطفال يغمرها الرحيقْ
وسنابل الحقل النشاوى بالرواء،
تندى لزارعها نضاراً، في سخاءٍ، في سخاء!
وهنا . . . هناك مراتع القطعان، تزهر بالسواقي والظلال
والذاهبون مع الصباح إلى المراعي والحقول،
والعائدون، إذا طوى الشمسَ الأفولْ
يتباركون بأرضهم، وعلى ثغورِهمُ أغانٍ وابتهالْ
لا شيء، غير السحر، غير الخير، والأمن الحبيبْ

تغفو عليه القرية الخضراء، في الليل الرهيب.

* * *

واليوم، لم تُبقِ لها النيران، ينبوعَ السعادة والرفاه
والمعتدون على حمانا، دنّسوا طهر الحقول
وبيوت قريتنا التي ضجّت بأفراح الحصاد أو الحياة
ورياضها تلك التي حضنت براءة كل طفلٍ، والسهول
عادتْ مقابر! يا لويل المعتدين!
لا زلت أذكر كل شبرٍ من ثراها، في التياع
والتربة الذهبية الألوان، كيف عدا عليها الغاصبون؟!
الأرض تلك، لنا... لنا حقٌ مضاع
لا بدّ يوماً أن تعود... تعود بالدم والصراع
والجدول السمح النديّ، يفيض يُمناً أو رخاء
عبر المزارع، والمروج الخضر، والوادي النضير
وحدائق الأطفال يغمرها العبير
لا بدّ يوماً أن تعود لمن رعاها، بالدماء!
فالأرض تلك لنا.. لنا حق مضاعْ!

مجلة (الآداب) ١٩٥٣

العائدون

حتى إذا أزف المآب،
وتضافرت تلك السواعد، كالتحدي، كالفناء
ألفيتهم يتسللون، وهم إلى الثار ظماء. . .
«والموت يرتقب القراصنة الذئاب،
الموت للطغيان، للسفاح، للباغي العنيد. .»
ويردد الوادي هتافهم البعيد. .
والسالبون الأرض يرتجفون، والموت الرهيب
يبدو لهم من ذلك الصوت المدوّي في الظلام
في وحشة الأحراج، في الغابات، في الركب القريب
الموت ترهبه الجموع لمن تجبر واستضام!
وهتافهم يعلو وتحمله الرياحج
أقوى من الأفناء، من تلك المدافع والحراب
سلبوا بها يوماً بيوت العائدين
واليوم، أولاء الطغاة يهدهم رعب المآب
الموت وللهرب المتاح
والليل لم يبرح يخيف السالبين
الليل والأصداء لم تبرح تخيف السالبين
الأرض تلك لنا، لنا حق مضاع

لا بد يوماً أن تعود، تعود بالدم والصراع . . .»
وإذا لمحت ولادة النور الحبيب
أبصرت الأرض يرعاها بنوها الأقربون
والقرية الخضراء، آمنة وجدولها الطروب
والزارعين، لهم. لأنفسهم جناها يحصدون

مجلة (الآداب) ١٩٥٣

وحدي مع المنفى

إلى أمي الغاربة إلى الأبد . .

وتطوف بي الذكرى إليكِ، إليك والطفل الحزينْ،
وسؤاله الملتاع : أين أبي؟ أيرجعُ؟ هل أراه؟
ـ لِمَ لا؟ ستنعم بالهدايا، بعد حين، أو لقاه؟
ويروح يرتقب المآب الحلو، مشبوب الحنين،
وأنا هنا خلف المفاوز، والجبال،
وحدي مع المنفى ورعيان القطيع، وخفق آل
والشمس تكره أن يغطّيها السحاب،
ويغيب عنا نورها الذهبي، والدفء المضاع
خلف الغيوم السود ـ لا كانت ـ ويخنقنا الضباب،
وهناك قريتنا الكئيبة، والخرائب، والقبور
والليل، والدفء المضاع،
ومغاور الأفيون، والمقهى، وأغنية تدور .

* * *

وأبي يقبّل طفلي الباكي، ويحلم أن أعود،
والأم كالثكلى، تئنّ وقلبها عبر المفاوز والجبال
ونداؤها الواهي سُدىً يعلو «تعال . . »
فأنا هنا خلف الصحاري والسدود،

وحدي مع المنفى، ورعيان القطيع،
السحب تهرب، أو تذوّبها ذُكاء،
وطحالب الصحراء، والأعشاب تثمل بالضياء
ونداء أمي لا يزال يرنّ في أذني: «تعال. . .
«الشمسُ عادت والربيع
والزهر عاد مع الفراش، مع الطيور،
وصديق طفلك كم يلاعبه أبوه بلا ملال
بين المزارع والحشائش، والزهور
و«رجاءُ» يسأل أي أبي؟ ألم يحن المآب؟
وتلوح في عينيه بارقة الدموع،
وأنا وصحبي المبعدون هناك مثلي يرقبون
أنا سنرجع رغم أغلال المنافي والجبال
كالشمس تسخر بالغيومِ والضباب،

* * *

ومدينة الأفيون، لم تبرح على الأحلام تغفو والمنون،
ونداء أمي لا يزال يرن في أذني: تعال!

مجلة (الآداب) ١٩٥٤

المسيرة المقدسة

إلى جميلة

فديت مقلتيك تسكبان، يا جميلة، السنى
وأنت تنهرين عن مسيرتي الضنى
وتفتحين نافذات قريتي للشمس، للأشذاء، للمنى
تولد والتاريخ في جزائري، في كل منحنى
وقريتي «وهران» أسطورية الكفاح، تنسج الظفر،
إكليل غارْ.
ينهل من دماء إخوتي الصغارْ
كأنجم حمراء، في عتمات مسرانا، صغار
أو من عذارى موطني يلقمن ألوان الدمار،
من يستبيح، في بلادنا، منابت الحياة والزهر

وصرخةً من فم «ميرابو» الحزين، تعبر الزمان
تلقى على ثغرك، يا جميلتي، صدى أغر:
«من ها هنا شعبي، كعملاق، يسير، يزدري العمر
كأنه إرادة الحياة، لا تشلها القيود والزمان
عملاق أفريقية السوداء ـ اللون الرهيب ـ يستمر
باريس، اللون الجريح يستمر

باريس، في مثواه، «ميرابو» المهان يستمِر
وإخوتي العصاة يكرهون أن نضام
وأن تشاد، في رحابنا، معاقل الظلام
فينبتون، في جبالنا، «أسنة الحراب»
في السهل، في الصحراء، في الهضاب
على أسنة الحراب
وألف «ميرابو» يثور، يستمر
ويزرع الضياء، والحياة، والضرام
في كل شبر من ثرى جزائري، في كل منحنى
. . . بظلمة الطغاة، بالمنون، . . . .»

وأنتِ، من كوى السجون، تمنحيننا السنى
كأنها، برغم جلاديك، مورد السنى
هيهات أن ينضب، في عينيك، مورد السنى
وأنتِ تدفعين عن دروبنا الضنى
خرافة العصور!
كأن مقلتيك تحكيان لي خرافة العصور!
فكل عذراء تثور.
في أرضنا نارٌ ونور
تحرق باستيل الطغاة أو تضيء مرتقى النسور
فديت مقلتيك ترعيان زحفنا القدسي والمنى
وأنت تحلمين بالجبال، مرتقى النسور

وتهزأين بالردى
بالنار، بالقضبان، بالأسياط، بالمدي
ترتد خجلى عنك، عن طهر البطولة والإباء
أو تسمعين صرخة الثوار تعبر العصر:
«عدلٌ، مساواة، إخاء»
وجند باريس الغزاة يسخرون بالمباديء الغرر:
«عدلٌ، مساواة، إخاء»
الهاربون من «فيت مين» الوضيئة الصور،
«لا كوست»، والمجد الملوّث البريق والجنود يهربون
من ذكريات الأمس، من عار الهوان يهربون
في غابة الفرسان، في أعماق آسيا الغضوب، يهربون
ويحسبون أنهم سيلقمونك الردى
ويحرمون إخوتي الأباة نشوة الظفر
وفيك، من عينيك، يزأر الصدى:
«وهران»، يا باريس، أسخى بالردى
يطوي بقايا مجدك الموهوم عاراً أسوداً
إنا رعيناه لنا إكليل غار،
ينهل من دماء إخوتي الصغار
كأنجم حمراء، في عتمات مسرانا، صغار
أو من عذارى موطني يمنحن ألوان الدمار،
مَن يستبيح أرضي المعطار، أو منابع الندى،
فدى لمقلتيك تزجران عن مسيرتي الردى
ينهار من إصرار عينيكِ الردى

وقريتي «وهران»، أسطورية الكفاح تزرع الظفر
في كل شبر من ثرى جزائري، في كل منحنى
وتفتح النوافذ الظماء للربيع أو أرائج المنى،
تموج في منابت الحياة والزهر . .

مجلة (الأديب) ١٩٥٨

شاذل طاقة

ولد عام ١٩٢٨ في مدينة الموصل.

انتقل عام ١٩٤٧ إلى بغداد بعد أن أكمل دراسته الإعدادية ليلتحق بدار المعلمين العالية التي تخرج منها عام ١٩٥٠.

إثر إكماله دراسته الجامعية اشتغل في مدينة الموصل مدرساً في ثانويتها وكان خلال تلك الفترة ينشر قصائده ومقالاته في صحف المدينة.

أصدر عام ١٩٥٠ أولى مجاميعه الشعرية بعنوان «المساء الأخير» ومعظمها من الشعر الحديث.

أصدر عام ١٩٥٣ كتاباً مدرسياً بعنوان «تاريخ الأدب العباسي».

وفي عام ١٩٥٦ أصدر بالاشتراك مع هاشم الطعان ويوسف الصائغ وعبد الحليم لاوند مجموعة شعرية مشتركة بعنوان «قصائد غير صالحة للنشر».

انتقل إثر ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ إلى بغداد ليعمل في وزارة الإعلام، ولكنه سرعان ما تعرض للفصل والسجن عام ١٩٥٩ لانتمائه لحزب البعث العربي الاشتراكي.

إثر ثورة الثامن من شباط عام ١٩٦٣ والتي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي عين مديراً عاماً لوكالة الأنباء العراقية، وفي ذات العام أصدر

مجموعته الشعرية الثانية «ثم مات الليل».

فصل مرة أخرى في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ حين تصدرت الزمر اليمينة والرجعية لثورة الثامن من شباط.

وعندما قامت ثورة السابع عشر من تموز القومية والتقدمية عام ١٩٦٨ عين وكيلاً لوزارة الإعلام، وخلال هذه الفترة صدر له كتاب بعنوان «الإعلام والمعركة».

أصدر عام ١٩٦٩ مجموعته الشعرية الثالثة بعنوان «الأعور الدجال والغرباء»، وفي شباط من نفس العام عين سفيراً في ديوان وزارة الخارجية، وفي شهر آب نقل سفيراً للجمهورية العراقية في الاتحاد السوفيتي، وظل في هذا المنصب إلى أن نقل وكيلاً لوزارة الخارجية عام ١٩٧١.

وفي شهر حزيران من عام ١٩٧٤ عين وزيراً للخارجية، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي في التاسع عشر من تشرين الأول من ذات العام في مدينة الرباط إثر نوبة قلبية، وكان في حينها يرأس الوفد العراقي إلى اجتماعات وزراء الخارجية العرب.

الشاعر شاذل طاقة هو الآخر ممن له دوره الريادي والتجديدي في الشعر، يتابع ويتأمل الثقافات العربية والأجنبية ويتواصل مع التراث الشعري العربي القديم والحديث، وفي شعره روح الحداثة والسلاسة، والكلمة لديه تنأى عن الترف، فهو إنسان المعاناة، وقد فجرت هذه المعاناة لديه طاقة شعرية تحتل مكان صدارة في عالمنا الشعري المعاصر.

من مؤلفاته:

- المساء الأخير (شعر ١٩٥٠).
- تاريخ الأدب العباسي ١٩٥٣.

- ثم مات الليل (شعر، بيروت ١٩٦٣)
- في الإعلام والمعركة ١٩٦٨.
- الأعور الدجال والغرباء (شعر بيروت ١٩٦٩).

مختارات من شعره:

شهرزاد

سمعت هتافاً يشق الوهاد
ينادي لك الخلد يا شهرزاد
ينادي وقد بُحَّ صوت الزمان
ويسأل هذا السؤال المعاد:
إلى أين يذهب هذا الوجود؟
وأين تصير بقايا الرماد
إذا خفقت أغنيات الزمان
فان نشيدك لحن الجماد
أصيخي إلى الظامئين الجياع . . .
وجودي عليهم بماء وزاد . . .
لقد أتخموا بطعوم الثرى
وقد شرقوا بدموع العباد
فليس لهم غير هذا النشيد
يجوز تخوم الفضاء البعاد:
لياليك أطياف أحلامنا . .
وجنَّتك البكر أرض المعاد

* * *

أيا شهرزاد . . عروس الخلود

أتيت إليك بهذا النشيد!
وجئت معنّى أجر الخطى . .
فنفسي حيرى وقلبي عميد . .
إسير وطيّ الحشا خفقة . .
من السحر مغلولة بالقيود . .
أعيش أسير العيون ولا . .
أرى في عيون الظبى ما أريد . .
أريد حياتي على موجها . . .
فتعكس لي ماضياً لن يعود . . .
أريد انطلاقاً إلى عالم
من الحب يجهل معنى الحدود
فتبخل عين على وامق . . .
وأظمأ . . وفيَّ جنون الورود
أأقضي حياتي أسير المنى
وقد برم الحزن بي والنكود
أيحترق الثغر دون ارتواء
أأمضي . . وأجهل سرَّ الوجود

* * *

أيا شهرزاد
عبرت إليك الزمان السحيق
ولم أدْرِ أني ضللت الطريق
وأدمى المسير خطاي فنمت
وقد كنت أحسبني لن أفيق . . .

وها قد وصلت ولكن متى
وكيف انتشلت الجريح الغريق
تقولين سرّك يا عاشقي
رفعت ذراعي يا شهرزاد
وأرسلت هذا الدعاء العميق :
هبيني السلوّ ولا تبتليني . .
بشوق جديد . . فذرعي يضيق
فؤادي شجيٌّ ولكنه . . .
يعيش مع الحسن عيش الرقيق . .
ألا يا هلمّي سئمت الحياة . .
وسدّ الضباب عليَّ الطريقْ

المساء الأخير

(سوف تبقى ذكريات هذا المساء
عالقة بالقلب . .
وستبقى تمثل الفصل الأخير
من مهزلة عظيمة
دفنت ذكرياتها في طلال النخيل؟)

* * *

جُنَّ الغروب
فعلام تبعث نظرة حيرى إليه
ودم المساء يجوب آفاق الغيوب
والأنجم الربداء والأفق الكئيب
ونسائم الليل الطويل تهب حانية عليه
وإذا رجعت ولم تجد غير السراب
وأضعت أحلام الشباب
فدع الشكاة وذوّب الألحان في نادي المساء
وانسَ الذي ولّى ولا تنسَ الرجاء
ذاك الغروب . . لقد أثار شجوني
فعببت من كاساته خمر الشقاء
أتراه أنساني المساء، حنيني؟

أنسى؟ وهل تنسى الربيع الغضّ أزهار الرياض؟!
وإذا نسيت فهل أكون سوى صدى في القبر غاض!؟
أنسى . . وويلي إن نسيت من الخدود
أنسى . . أأكفر بالجمال وبالخلود؟
وأعيش أعمى لا أرى إلا خيالات اللحود؟
رحماك يا رب
لم يبق لي قلب
قد كان لي قلب وأحلام وآمال كبار
وأتى المساء . . فلم يدع شيئاً أعيش على مناه ولا انتظار
وفقدت نفسي يوم رحت أجوب، أبحث فيي القفار
عن ذلك القلب الملذّع بالشرار
ورجعت أستجدي الحياة من السراب
ومن الخيال الجهم أحلامي الكذاب
وبقيت أستاف السراب
وبقيت يعذب لي العذاب
وأبث لليل الجهول . . وللنجوم الساخرات
أشجى أغانيّ الحزينه
وأحسُّ سخرية النجوم . . أحسها كالقهقهات
فأقطّع الوتر الحبيب وقد خنقت لها حنينه
وأعود أستجدي الهلال
وأشيم بارقة الوفاء
في ذلك الطين المضاء
ذاك الهلال

واخيبتاه . . لقد تعسجد ذلك الطين الحقير
وأحسُّ في خيلائه بوميض عسجده النضير
لم يلق لي بالاً ولا ملّ السكوت
ورمى بقايا حيرتي بشحوبه ذاك المميت
قد كنت أعشقه هلالاً
وأبثه الألحان والسحر الحلالا
ووهبته دنياي أوهاماً وآلا
فإذا به يطغى ويطغى فهو بدر
لم تجدهِ الآه الحنون ولم يمله إليَّ شعرُ
يا قسوة الدنيا إذا ما أظلمت ومضى القمرْ
وبقيت بين الناس لا ميت ولا حي فما يبغي القدرْ؟
يا قلب قد أزف الرحيل
فانشر شراع الذكريات
وارحل إلى دنيا من الوهم الجميل
سيضمنا ركب الحياة
في ذلك الحلم الطويل
ونعيش ما عاش الزمان
في سكرة . . في لا مكان
سنجوب جنات الملائك والحسان
ونصوغ من همس النسيم أرق ألحان الحنان
وإذا دجى الليل الكئيب
وأحس بالموت الرهيب
يطغى فيضطرب الوجيب

في ذلك الصدر الرحيب
صدر الحياه
وخبا سناه
في طلمة العدم الرهيب
فانشر لهم ذكرى الحبيب
وأنر لنا تلك الدروب
من ذلك الحب العجيب
ويلي . . أأنسى في العذاب عذابي؟
وأروح أبحث عن أماني لدي عذاب؟
في ذلك الوهم الجميل
أو ذلك الحلم الطويل
أوَ هذه عقبى الحياة؟
ندم على أمس تلألأ ثم فات!؟
أو حسرة الماضي نشيد الذكريات!؟
يا ليل يا كنز الحنين
اطبق دجاك على السنين
يا ليل أخفتّ الأنين
ومضيت أهزأ بالذين
لم يفقهوا معنى الحياة
وقنعت من دنياي بالأمل الصغير
من ذلك البدر المنير

المقبرة الخرساء

حين أقضي
وإلى المقبرة الخرساء أمضي
ويهيل الترابَ فوق الرمس حفار القبور
فاذكريني
واسألي النجم الذي يسرق ومضي
عن أحاديث الدهور
والسنين
وإذا عدتِ إلى القبر مساءَ
ورأيت الدود يسعى في الحفيرة
فدعيه . . إنه يبغي الغذاءَ
ويمنّي النفس آمالاً كبيره
فلقد كنت أصختُ السمعَ يوماً في الظهيره!
وسمعت الدود يشكو الجوع شكوى البائسين
وتهافتُّ على الترب . . ونكسّت الجبين
فإذا عدتِ إلى قبري فجودي بالحنان
لضحايا لم تكن تعرف معنى للأمان
ثم جودي للمسجى في الحفيره . .
حين أقضي . .

وإلى المقبرة الخرساء أمضي . .
وعلى التابوت شعري!
فادفنيه مع جثماني . . بقبري . .
واقرئيه قبل دفني . .
لم يكن أعذبَ لحن . .
غير أني . .
لن أطيق القبر والوحشة وحدي!
إنه مثلي ميتٌ . . آه لو يدفن عندي!

لن أعود

سوف أمضي في طريقي
فاتركيني
ودعيني سائراً وحدي . . لقد ضل رفيقي
شئت أن أذهب وحدي . . فدعيني
أنا قد أقسمت بالماضي السحيق
وبعينيك . . وبالحب الطليق
لن أعود!
سوف لا يسمع هذا الدرب خطوي
لا ولن يقلق بعد اليوم أجفان المساء
ظامىء الروح إلى قعر الفناء!
وإلى حبك يا دنيا شبابي
لن أعود
فلقد أدركت أني
كنت أجري خلف أوهام السراب
وقضيت العمر مجنون التمني
عند أحلامي الكِذاب
سوف أمضي . . صوب هاتيك اللحود
وإلى حبك والماضي البعيد

لن أعود . . .
لقد اخترت طريقي فاتركيني
سوف أنسى قصة الماضي الدفين
وأماسي . . وما نوحي من اللحن الحزين
وخرافاتي ووهمي وجنوني
فاتركيني
لن أعود
وسأحيا . . من جديد!
لن أعود

وعاد الرجال

- ١ -

سألتُ شجيرة الكافور،
قلتُ:
لعلّها تدري . . .
بأنّا ذات أمسيةٍ
زرعنا فوقها قمراً
صغيراً أسود العينين . . .
أشعلنا له شمعاً وكافورا . .
وفدّيناه بالنذر . . .
فذاب الكحل مبهورا . . .
وأحرقنا أصابعنا . . ولم ندر!

- ٢ -

غريباً مَرَّ، يا عيني، وما سَلَّمْ!
تقول شجيرة الكافور،
فانتظري مع الأحزان والأشواق عودته
ربيعاً آخرا . .
يا ليتها تعلَمْ . .
بأني حُكتُ من ضلعي وسادته

ومن نهديَّ . . والخدّين . .
لو يعلَمْ . .
بأنّي لن أراه مرةً أخرى . .
فإني، يا شجيرته،
ربيعٌ واحدٌ عشناه . . .
ثم مضى . . مضى . . مرّا . .
حزيناً مَرَّ، يا عيني، وما سَلَّمْ . .
وخلفني مع الأحزان والصبر . .
ينوسُ بليلنا قمرٌ حزينٌ . .
أسود العينين والشَّعر!

ـ ٣ ـ

سُقيتِ . . شجيرةَ الكافور،
إن عاد الرجال . . وكان بينهمو
حبيبي . . فانثري من فوقه الزهرا
وبُوسيه من الخدينِ . .
رُشّي فوقه العطرا . .
وبوحي بالهوى عنّي . .
وقولي:
إنني ما زلتُ أهواهُ . .
وأحلم،
إذ يزور ضفافَنا القمرُ الصغير
مُكحَّل الجفنِ . .
ينام على الرمال . . .

يُغازل النهرا . . .
وقولي : إنني ما زلت أهواه
ومن حبات قلبي . . سوف أطعمه . . وأسقيه
دمي ودموع عيني . . آه يا عيني . .
وبالكافور والشمع اللهيبِ ، نذرتُ ، أفديهِ
وأدعو الله ينصره ويرعاهُ . .
ويرجعهُ إلى حضني . .
سُقيتِ . . شجيرةَ الكافور ،
لا تَنْسَىْ . . وناديه
أيا ميمونة الغصْنِ !

ـ ٤ ـ

وراح رفاقه المضنون . .
ينتحبون في صمت . .
وزغردت البنادق مرة أخرى . . تودّعهُ . .
وحوّم في المدينة طائر الموتِ . .
فمالت غرسة الكافور خاشعة
وطيَّ غصونها قمرٌ يشيّعهُ . .
وطُفّئتِ السماء . . وغابت الأصواتْ . .
وضاعت آخر النجمات . .
ومن أقصَى المدينة إذ يجيءُ الفجر محتدماً
يؤذّن في الشوارع غاضب الجرسِ
ويغسل مَدْرج الشمس !

علي الحلي

ولد عام ١٩٣١ في مدينة النجف الأشرف وفيها أنهى دراسته الاعدادية، ثم تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٥١ كما حصل على شهادات تدريبية من جامعات ويسكانسن واوهايو ونيفادا.

شغل عدة وظائف منها موظف في المصرف الزراعي إلى أن فصل عام ١٩٥٦ لعمله في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي، ثم عاد إلى وظيفته عام ١٩٥٨ إثر ثورة الرابع عشر من تموز، ثم انتقل للعمل في فرع وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية في بغداد، إضافة إلى إشرافه على الصفحات الأدبية في جريدة الجمهورية وجريدة اليقظة.

عمل في صفوف الحركة الوطنية مبكراً، حيث انتمى لحزب الاستقلال عام ١٩٤٦ ثم التحق بحزب البعث العربي الاشتراكي، إضافة إلى أنه كان يمثل الحزب في لجنة المحامين ولجنة الأدباء السريتين التابعتين للجبهة الوطنية خلال العهد الملكي المباد، وقد تعرض نتيجة لهذه المواقف إلى ملاحقة السلطات قبل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وخاصة خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حيث ألقي القبض عليه لنشره قصيدة «سجين وراء الستار السعيدي» في جريدة «البعث» السورية. وقدم إلى المحاكمة وفصل من وظيفته.

إثر ثورة الثامن من شباط ١٩٦٣ عين ملحقاً صحفياً في بيروت وعمل

في السفارات العراقية في بروكسل والقاهرة والكويت وبيروت، كما عمل في الأمم المتحدة مع الوفد العراقي عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩. وكذلك مثّل العراق في العديد من المؤتمرات الأدبية والسياسية والقانونية والزراعية، ومن الوظائف التي شغلها إثر ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ مدير الشعبة الافريقية بالدائرة السياسية في وزارة الخارجية، ومدير الإعلام العام في وزارة الإعلام، ورئيساً لقسم الآداب والفنون في جريدة الثورة حتى عام ١٩٧١. ثم عين مستشاراً إعلامياً بديوان وزارة الإعلام، ورئيس بعثة الجامعة العربية في الهند، وأحيل على التقاعد لبلوغه السن القانوني عام ١٩٩٣م.

له من الأعمال الشعرية:

- الشاعر «ملحمة شعرية» ١٩٥٤
- إنسان الجزائر ١٩٥٨
- طعام المقصلة ١٩٦٢
- ثورة البعث ١٩٦٣
- المشردون «ملحمة شعرية» ١٩٧٠
- غريب على الشاطىء ١٩٧٠
- شمس البعث والفداء ١٩٧١
- شعلة البعث ١٩٧٥
- مواسم العشق والرصاص ١٩٧٧
- دم بين عرس الشناشيل ١٩٨٩

وله من المؤلفات والتراجم:

- بين الإعلام والدبلوماسية ١٩٧٥
- Candle Tears

* صدرت له عن دار الشؤون الثقافية لوزارة الثقافة والإعلام العراقية

«المجموعة الشعرية الكاملة» ـ الجزء الأول ١٩٨٧. وتضم القصائد التي كتبها من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٧٠ قدم لها: محي الدين اسماعيل (٤١٦ص)، وصدر الجزء الثاني ١٩٨٧ وتضم القصائد التي كتبها الشاعر عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٩ (٣٥٦ص).

علي الحلي شاعر غزير الإنتاج، إسهاماته في الشعر الحديث ذات دلالات عالية.. يطالعنا ذلك من خلال لغته الشعرية المميزة والبحور الشعرية التي يبث خلالها مشاعره أو شعره، خصوصاً وأنه كما نرى ملتزماً بشعر التفعيلة مما يضفي على نتاجه الشعري طابع الأصالة والتجديد في وقت معاً.

مختارات من شعره:

شوهر.. يُفكر!!

ـ كيف أمضيت احتراقَ الوقتِ،
لا تقوى على البوح الرديءْ؟!
أترى عاقرتَ خمرَ الصمتِ،
والرقَّ الصدىءْ؟!
أترى بارحَكَ الخسفُ المؤبَّدْ؟
أم سرقتَ الدهشة العجلى
بوادي الحلم والنوم المخدَّرْ؟!

* *

ـ يا إلهي!
كنت في السرِّ.. أصلّي
مفرغاً من زمن الصحو..
بأغلال التجلّي
أتقرّى نجميَ النافرَ
ما بين مدارات التصحّرْ
لم أعمّدْ غيرَ نفسي
أذني لم تحدسِ الهمسَ،
ولا إحساسُ وجداني المصفَّدْ
لم أبحْ بالحرف.. للورسِ،

لأنفاسي،
لظلّي!!

* *

ثم دوّى الصوتُ
سكيراً على قرعات طَبْلِ
ـ آهِ.. بل كنتَ.. تفكّرْ!!!

١٠/ ٥/ ١٩٩٢

زاد الخواء..

من أين نستبقُ الولادة؟
وكل ما نلقاهُ . . مكتوبٌ بأعراق الجباهْ
لم يبق إلاّ الأوكسجينْ
تمتصّهُ رئتي
ـ وهل في بيدر السلوى . . سواهْ؟ ـ
ينسلُّ من طوق الحصارْ!

* *

سُعَداءُ من يلقونَ بئراً،
أو حفيراً في متاهات البراري . . .
حتى اللحود تبرّأتْ من ساكنيها
وتمرّد المثوى على الموتى،
فلا رمسٌ يجودُ .
ولا رمالٌ تحتويها!!

* *

بالأمس كنّا للذئابْ،
أو صاليات النار، أو قِرْشِ الخليجْ
قوتاً،
وقرباناً،

وفِدْيَهْ!!!
متوحّدين على الشهادة!

* *

لم يبقَ إلاّ الأوكسجينْ!
يُستامُ مجاناً بأسواق القبيلهْ
فقراءَ كنا في قواميس السعادهْ
رحلَ الوفاءُ،
وجفَّ نسغُ الكبرياءِ،
وأبحرتْ سفنُ الفضيلهْ
وتهافتَ النخلُ المعلّى،
بات يستجدي فسيلَهْ. . .
حتى الدُمى الخرساء في أيدي الصغارْ
تستوحشُ البسماتِ
في عيد الطفولهْ!

١٩٩٣/٦/١٧

عبد الرزاق عبد الواحد

ولد في بغداد عام ١٩٣٠ .

تخرج في دار المعلمين العالية قسم اللغة العربية .

مارس مهنة التعليم لعدة سنوات متنقلاً بين محافظات القطر .

عمل لفترة معاوناً لعميد أكاديمية الفنون الجميلة .

إثر ثورة السابع عشر من تموز انتقل للعمل في مجلة «الأقلام» التي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام سكرتيراً لتحريرها، وبعد ذلك عين مديراً لمعهد الدراسات النغمية .

له من الأعمال الشعرية :

- لعنة الشيطان ١٩٥٢
- طيبة ١٩٥٦
- النشيد العظيم ١٩٥٩
- أوراق على رصيف الذاكرة ١٩٧٠
- خيمة على مشارف الأربعين ١٩٧٢
- الخيمة الثانية ١٩٧٥
- الحر الرياحي (مسرحية) ١٩٨٢

شاعر مجدد مع قدرته الكبيرة على الصياغة الشعرية الموسيقية، وقد

استفاد كثيراً من لغته الجيدة وخلفيته الكلاسيكية، في بناء القصيدة الحديثة من حيث الفكرة الناضجة والأسلوب الفني الرقيق واللغة السليمة والفكرة الجديدة، وهو يعيش في محراب الكلمة، يتبتل من أجلها، يتفيأ في ظلالها، علّها تشفي غله من نفسه، والشاعر يحمل بين طياته عنفواناً وطموحاً ويعبر عما يجيش في خاطره من هواجس وما يعتمل في جوانحه من تصورات ورؤى. .

مختارات من شعره:

مواسم

جئت في موسم الطَّلعِ
أسألكم حبّةً تصدق الوعد
أحملها مهرجاناً لعقم النخيلْ
عرضت لي سباخكمُ كل أملاحها
وحلفتم
عدت منكسراً
واعتذرت لكم عند أهلي
جئتكم موسمَ الملح
قلت الصغار يشبّون
تطحن أضراسهم كل شيء
وأخشى عليهم طعاماً قليلاً مروءته
فامنحونيَ ملحاً
ملأتم جيوبي بالطلع
أعلم أن الدماءَ مواسمُ في أرضكم
ربما طَلْعُ النخيل دماً

طيبة

في قريتي حيث تموت البذورْ
وحيث لا يُزرع إلا القبورْ
وحيث تلهو برؤوس الورى
كلّ الخرافات، وكل الشرورْ
حيث يعيش الناس من دون دورْ
أقواتهم ما في الثرى من جذورْ
وحيث يقسو ويجفّ الشعورْ
وتجأر الأنفس حتّى تثورْ

* * *

في قريتي وكلّها تجهلُ
بحيرة يؤنسها جدولُ
تسقي الوريدات التي تُهملُ
والطير والوحش ولا تبخلُ
لم يتموّج حولها سنبلُ
ولم يبارك أرضها منجلُ
لكنّها في صمتها تعملُ

قناعة

ـ هم يفهمون من الحياةْ
أضعاف ما ندري وما زالوا صغار الأمّهاتْ

* * *

إبني يقول بأننا نشقى لأنّا قانعونْ
أرأيتَ كيف يفسّرونْ؟
لكنني أدري بأنّ قناعتي كنزٌ ثمينْ
وعلامَ أطمع؟ كيف يطمعني بمال الآخرينْ

* * *

ـ الحمد لله الكريم، فلست أملك من حطامْ
هذي الحياة سوى ابنتي وابني وأمّهما العجوزْ
أمّا الطعامْ
فالله يرزق من يشاءْ
والناس في يوم الحساب أمام باريهم سواءْ

* * *

ـ ولدي يقول بأنني غِرٌ وأني لا أزالْ
لسذاجتي عبئاً على الأحياء، فالرحمان قالْ
أنْ ليس للإنسان إلا ما سعى
والخانعونْ
من دون وَعْيٍ يكفرونْ

ويقول إنّ الله لا يرضى بأن نبقى جياعْ
والأرض ملأى بالبذورْ
فأكاد من عجزي وكثرة ما يضايقني أثورْ
إني أُحسّ إذا شكا أني الملوم، فلي ذراعْ
لي مقلتان ولي فمٌ كالناس، لكنّي مُضاعْ
أدري بأني أستطيعْ
أن لا أقصّرَ، أنْ أحاول ما يحاوله الجميعْ
لكنني رَجُلٌ مُضاعْ
ما لي سوى هذي القناعةِ،
وهو يسرف في الكلامْ
عن عالم ثانٍ عجيبْ
عن عالم لا يقلق الأحياء فيه على الطعامْ
أرأيتَ شيئاً مثل هذا؟؟ ثم يزعم أنني
أنا من تراه، أنا الضعيفْ
أنا، أنت تسمعني؟.
أنا أبني له شيئاً طريفْ
شيئاً كعالمه العجيبْ
أترى إلى هذا الجنون؟

* * *

إني أحسّ بأنّ شيئاً ما يحاوله البنونْ
أدري بهم هم يفهمونْ
أضعاف ما ندري،
ولكنْ... ما يقول ابني جنونْ..!

من ظلمة العراق

في عهده البائد

- ١ -

لو استطاعت أن تفرّ هذه السطور
من ظلمة العراق
فأوصلوها، أوصلوها أيها الرفاق
لأهلكم، لأصدقائكم، لكل دار
ليبصر الصغار
إخوانهم كيف يجوعون ويهزلون
وكيف يذبلون
في ظلمة العراق

ليسمعوا أنّ القبور تملأ القفار
وكلّها صغار
وأن من يعيش من أطفالنا صور
ليس بها إلا القليل من دم البشر
ومسحة البشر
أمّا سنى العيون
أمّا براءة الصغار حين يضحكون
وحين يلعبون

ونضرة الخدود
فليس في صغارنا منها سوى الوجوم
والصمت والهزال
ونظرة ما انفك في انكسارها سؤال
لكننا نعوّد الصغار في العراق
في ظلمة العراق
بأن يحبّوا الورد والضياء والغمام
ويطعموا الحمام
بأن يحبوا الشمس والقمر
تروي عن الضياء والظلام
حكاية يفهمها الصغار في العراق
حين تزف الشمس للقمر
سيشهد الكبار
ميلاد طفل رائع يحبه الصغار
عيناه نجمتان
من أمه الشمس له إشراقة النهار
ومن أبيه روعة الهدوء والأمان
وعندما يمتزج الضياء بالظلام
ترفرف الحمائم البيض على البشر
حاملة ارجوحة ابن الشمس والقمر
حبالها غصون
من شجر الزيتون، والمتكأ الصغير
ورد وزيزفون

يفوّح العبير
وتحمل الصغار في ملاعب الأثير
آلاف آلاف الأراجيح من الزهر
يحملها الحمام
في قمر الظلام

- ٢ -

لو استطاعت أن تفر هذه السطور
من ظلمة العراق
فادخلوها، ادخلوها أيها الرفاق
بيوتكم، ولتقرأوا منها لأمهات
صغاركم، ثم سلوهن عن العذاب
عذاب أم طفلها في حضنها يموت
وتقرع البيوت
تسأل عن شيء لطفل بائس يموت
فلا ترى منها سوى تأفف البشر
البشر الكبار
والضيق والضجر
بفألها البغيض في بداية النهار
قولوا لأمهات
أطفالكم، هل بينهن من لها صغير
وددت لو أنه لفرط قسوة الحياة
أراحها فمات
قولوا لهن أنّ في العراق، في دجاه

في كل يوم ألف صوت يقلق الإله :
إن كنت لاتقيت
ففيم قطعي؟ فيم تبقى؟ فيمَ لا تميت!
لكن أمهاتنا في ظلمة العراق
يعبدن رغم سخطهن أيها الرفاق
أطفالهن حين ينطقون كالكبار
حين ينشدون :
آباءهم . . . بعيدهم حين يحاولون
أن يصبحوا كبار
فأمهاتنا يرين أنَّ في الصغير
في عيشه الغرير حين يقتفي أباه
يرون شيئاً من حياتهن في الكبر
تضمه يداه
حين يحاولان، تعبثان باهتمام
لتصنعا شيئاً يلوح أنه كبير
شيئاً بلا نظام
لكنه كبير

ـ ٣ ـ

وليقرأ الآباء منكم أيها الرفاق
إن استطاع أن يجوز ظلمة العراق
شيئاً عن العراق بين هذه السطور
ليقرأ الآباء منكم حين يجلسون
بين صغارهم بليلِ آمنٍ سعيد

لتقرأوا وإن يكن يجمّد السرور
هنيهة فوق الوجوه ما يرددون
اليوم يوم عيد
وحينما شاءت لك الفرحة أن تكون
تشاهد الصغار في الصباح يركضون
ليقبعوا مقابل السجون
فيلمحوا آباءهم في السجن من بعيد
فاليوم يوم عيد
وقد تعودنا بأن يحتضن الصغير
في العيد والداه
وأن يقبّلاه
لكنهم في ظلمة العراق يكتفون
أن تقع العيون
على صغارهم ولو في السجن من بعيد
ثقوا جميعاً أيها الرفاق
بأن من أنبل ما في ظلمة العراق
أنبل ما بين بيوت القصب الرخاص
أنبل ما استغل ثم اغتيل بالرصاص
وديسَ في السجون
أنبل ما انحنى على المحراث من عظام
أنبل ما حن إلى السلام
هذي الشعور البيض، هذا الشيب والغضون
وهذه العيون

عيون آباء العراق أيها الرفاق
هل، هل سمعتم، أيها الرفاق
بطفلة تضرجت في ظلمة العراق
بما يغطي كل عاميها من الدماء
ثغر أبٍ سجين
قبلها بكل ما فيه من الحنين
ومن حرارة الجراح بين جانحيه
ثغر أب ممتلىء الضلوع بالرصاص
كان أعز ما تمنى قبل أن يموت
أن يبصر ابنته
وعندما دنت إليه لحظة السكوت
جر إلى أقرب طفلة بقيته
فأسلمتها أمها إليه
قبَّل فيها كل ما أحب في الحياة
قبّلها ومات
وكان إذ يزول
يروي لها وكفّه في شعرها تجول
أن الحياة كلها فرح
وأنه أفرط في البكاء فانجرح
وسالت الدماء
من صدره، ولن يعود بعد للبكاء!
روى لها عن بيته الصغير
عن طفلة تملأه بعبثها الغرير

تشبهها، فشعرها كشعرها حرير
وصمتها كصمتها مورّد خجول
إذا رأت كف غريب هكذا تجول
في شعرها الغرير
روى لها أين يكون بيته الصغير؟
ناشد أمها بأن تأخذها إليه
تلعب وابنته
ثم تراخى فمه، فسدَّ مقلتيه
فاحتضنتها أمها من بين ساعديه
وكلها دماء
لو استطاعت أن تفرَّ هذه السطور
من ظلمة العراق
فلتقرأوها، إقرأوها أيها الرفاق

الظل والغابة

قالت لن أضحك يا شاعر
لا لن أضحك
لن أرسم في شفتي السفلى
لون التفاحة للطائر
فتحرك في عين اليمنى
جو غائم
وتململ في قلبي الهائم
شبح نائم
وأنهى على الوتر الطاهر
لحن الكورة والزنبور
يا لي من وجه مكسور
يحلم بالوردة والنور
يا أخت «البلبل» يا نسمه
يا ثغراً يلمع كالنجمه
كانت قسمه
أن تسقط في الماء الفاتر
قطعة مرمر
ويذوب الأبيض في الأسمر

فلك الشكوى
من غرفة شمع في صوره
من عصفوره
تسرق من نومي البستان
فالليل دفاتر أحزان
والفنجان
ماذا يوجد في الفنجان
عنها . . عن ماء الرمان
عن حب ذهبي المعنى
هل مال الخيط على المغزل؟
لا يوجد في الوقت الحاضر
غير الأفعى والقيثار
وبقايا سور ينهار
وشمعدان
وحقيبة أنثى ستسافر
فاهتزت في روحي النار
يا للبلوى
سيروح الظل مع الغابه

* * *

لِمَ لا تجود
بخيالها الحلو الودود
إني لأخشى أن تعود مع الندى
وتطوف في بيتي الكئيب فلا ترى

غير الصدى
غير الصدى العاري يردد في خفوت
هو لن يجود
بخياله الحلو الودود
فلقد مضى
وطوته أقبية اللحود

* * *

ومع الربيع
ستروح تبحث عن عشيق
غضّ الإهاب
ولسوف أصرخ من هناك
ولو أن فوق فمي اليبيس
تقوم ناطحة السحاب
لو تعلمين
أطفالنا لو تعلمين سيضحكون
إذ يبصرون الحب في صمت القبور
وسيصعدون إلى النجوم
ويزرعون القمح في أرض القمر
وسيهبطون مع المطر
وبعينكِ الزرقاء دودُ
والأرض . . ويحك نفس هذي الأرض
حبلى بالهناء
فلم يعد فيها عبيدُ . .

كان اسمها أيام

لا لم يزل وجهك في مهجتي
وجهك في عيني
في قلبي
على راحتي
وجهك . . يا أعز من روحي
ومن مقلتي
يملأ لي غرفتي
والوجه يا وردتي
الوجه لا يموت . . يا وردتي
وجهك في صدري وفي ظلمتي
ينير لي وحشتي
واليوم يا طفلتي
يا لوني الأخضر . . يا فرحتي
يا منتهى حبي ويا سلوتي
أبحث عن صوتك في وحدتي

سعدي يوسف

ولد عام ١٩٤٣ في محافظة البصرة «قضاء أبي الخصيب» واشتغل في التدريس عند إنهائه الدراسة الجامعية، وغادر العراق لظروف سياسية إلى دول المغرب العربي، وقد أثرت الغربة في شعره إلى حد بعيد حتى أن عناوين بعض دواوينه حملت إشارات مباشرة أو غير مباشرة إلى أيام اغترابه كديواني «نهايات الشمال الافريقي» و«الأخضر بن يوسف ومشاغله» وهو في شعر الغربة يذكرنا ببدر شاكر السياب الذي تفجر لوعة إلى قريته في البصرة وهو خارج العراق وإن كان سعدي يمتلك صوته المتفرد[١]. وإثر ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ عاد إلى العراق حيث اشتغل في مؤسسات ثقافية لوزارة الإعلام، ولم يلبث أن غادر القطر ليقيم في العاصمة التونسية.

تتميز قصائد سعدي يوسف بالانشداد للوطن ضمن لغة شعرية لها خصوصيتها في البساطة غنية بالدلالة والعمق، فهو يمتلك قدرة الاختيار الواعي للكلمة الشائعة ذات الأداء الشعري والمعنى المعبر.

وسعدي يوسف عاشق أماكن، وجوّاب آفاق، لا يقر له قرار، يطبع قصائده على جدران البيوت، وفي زوايا الغرف، ويمضي إلى أمكنة جديدة.

له من الأعمال الشعرية:

ـ أغنيات ليست للآخرين ١٩٥٤

---

(١) ويكون التجاوز: محمد الجزائري ص ٣٢٣ وما بعدها.

ـ القرصان ١٩٧٤

ـ ٥١ قصيدة ١٩٥٩

ـ النجم والرماد

وكتب سعدي يوسف أيضاً في مجال القصة، وله بضع قصص جمعها في كتاب بعنوان (المنزل المغربي).

كما صدرت له مجاميع شعرية أخرى.

اشتغل وتنقل في أقطار عربية عديدة، وله نشاطات أدبية واسعة.

صدرت له في بغداد (الأعمال الشعرية الكاملة) ١٩٥٢ ـ ١٩٧٤م، ضمّت: (القرصان، أغنيات ليست للآخرين، ٥١ قصيدة، النجم والرماد، قصائد مرثية، بعيداً عن السماء الأولى، نهايات الشمال الافريقي، الأخضر بن يوسف ومشاغله، تحت جدارية فائق حسن، الليالي كلها، الساعة الأخيرة، وقدم لها الأديب الأستاذ طراد الكبيسي بمقدمة ضافية ذات أسلوب شائق ومضمون أدبي رفيع.

قال عنه الشاعر أدونيس: سعدي يوسف شاعر قضية وموقف، قدر له أن يكون شاهداً وممثلاً في أخطر مرحلة من مراحل النضال العربي وأبهاها، وشعره طقس غنائي حزين يتصاعد في اتجاه الآفاق التي تخبىء نجمة الفرح ـ ١٩٦٥.

والقصيدة عند سعدي يوسف بسيطة وصعبة في آن واحد، وتمتاز بقدرتها على طرح أغلب المشاكل التي يعاني منها الإنسان المعاصر. شعره يعمّق الإحساس بالحياة اليومية كما يعمق الحس الدرامي بمأساة الوجود الإنساني، والصورة الشعرية عنده تعتمد الشمولية والتعمق[1].

---

(١) مجلة (الآداب) اللبنانية ـ شباط (فبراير) ١٩٦٥م السنة ١٣، ص١ ـ ٢.

مختارات من شعره:

حكاية

فلاح شيخ في «بلد سلامه» بالعراق
يسقط عن نخلة ويموت.

قد مات عبد الله، والأموات في بلد السلامه
يمضون كالأحياء في صمت الدموع
والناس في بلد السلامه
ينسون حتى الموت حين يرون قريتهم تجوع
لكنْ سأروي كيف عبد الله ماتْ:
كان الظلام يكفّن الضوءَ الأخيرْ
وتلوح أحداق الفوانيس العتيقة شاحبات
لا صوت... لا إنسانَ.. صمتٌ كالصلاة
والليل يلتهم الحياة
من قلب عبد الله وهو يموت في بلد السلامه
ملقى يموت مهشَّم الأضلاع تغمره الدّماءْ
والأرض تشرب والنجومْ
حمراء واسعةٌ.. وعبد الله ماتْ
قد متّ وحدكَ أيُّـها الملقى جريحاً كالضباب
عيناك غارقتان بالدَّم والترابْ
وبقيت طول الليل وجهاً للرياح

ودماً يذوق النملُ منه في الصباح
متخثّراً كالتمر في بلد السلامة
يا من هويت وأنت تحلم بالمواسمْ
مثل المسيح حملت سعفه
وبقيت مصلوباً تحشرج دون رفّه
إنّا سواءٌ أيُّـها الرجل العظيمْ
يا ميْتاً لم ننسه يوماً . . ولن ننساه يوما
يا حامل الستين . . . يا ربّاً مُدَمَّى .

١٩٥٧

إلى بعيدة

كزهرة في الرمل أنت، كالفرحْ
في موطني الصامت، يا هادئة العيونْ
الكلّ في الدروب يرقصونْ
في المطر الناعم . . . في المرحْ
الكلّ إلاّ أنتِ يا ناعمة العيونْ
الكلّ يرقصون . . .

* * *

وحينما أجبتُ كالذاهل: من بغداد . . .
ضحكتِ في صمتٍ . . . وكانوا يرقصون
الكلّ يرقصون . . .
وقلت: هل؟ ـ لكنني لا أعرف الكثيرْ
وربما سحقت خُفَّك الصغير
ضحكتِ يا آنستي . . . والكلّ يرقصونْ
وعندما سألت عن إسمك كنت تبسمين
وددت لو بقيتِ تسألين!
وهكذا . . .

* * *

لم يبق إلا بعضُ راقصينْ

في الشارع اللامع والشجرْ
ينصت للمطر . . .

* * *

كان الرذاذ يحمل العبيرْ
إلى فؤادينا وكنا وحدنا نسيرْ

الخيط

إنني أحسست بالموت قريبا
قبل أعوامٍ . . .
وقد كان كعينيّ قريبا
إنني ألمحه اليوم كما كنت أراهُ
شائِقاً كالحلم تدعوني خُطاهُ
مثلما تدعو حبيبا

نحن كنّا أربعه
وعلى الشارع آلاف العصافير تطيرْ
من حَجَرْ
كانت الدنيا مَطَرْ
من حجَرْ
كانت الأرض إناءً من رصاصٍ وبَشَرْ
ذلك اليوم رأيت الموت يدنو
فكرة فيها عذوبه
وارتعاش
لحظةً ألمس في أعماقها كلّ الحياه
خطوة مملوءة ثم أموتُ

برصاصه
ثم يمضي الموت والشارع عني والبيوتُ
والرصاصه

نحن كنا أربعه
ورجعنا أربعه
غير أني عدت كالنائم في الماء طويلا
شاحباً يأكلني شوقٌ إلى نار الحريق
إنني دست على الخيط ولم ينقطعِ . . .
أيها الموت العميقْ
أنت يا عمر البريقْ
آه يا أغنيةً كان معي . . .
أترى لوّنتَ عينيه شموسا
وهززت الكفّ بالمجد العظيمْ
وكشفتَ القلب في وجه الرَّصاص
واهباً أنبل ما يعطي الكريم؟

أنا ما شاهدته يهوي قتيلا
زاهياً كالنور لم يحمل من الوحل إشاره
مُسْلماً عينيه للحلم قليلاً فقليلا . .
إنه داس على الخيط طويلا . . .

١٩٥٧

الحي العربي

شوارعها الفساح تضيق حين تلامس الحيًا
وتنحدر العمائر تنبت الفطرا
بيوتاً من رقاق اللوح والقصدير ملوية
على أعناقها تتسول القرميد والصخرا
وتدبق بالصبايا الخادمات وبالبغايا حولها الدنيا
كأن البحر يقذف كل يوم عند مرساها
رذاذ الذل، والسيلان، والآها
كأن الحي لا يحيا

وفي أسواق روما: العبد والسيد
وعبر قناطر الرومان يجتاز الأرقاء
ممراً عسكريا...
- أيهذا البربري الساقط المولد
لقد أخلفتني الموعد
ولم تأت أختك الصغرى عشية أمس...
عبر قناطر الرومان يجتاز الأرقاء
ممراً عسكريا،
والرذاذ يسيل فوق وجوههم،

ويسيل تحت المعبر الماء
وتحت مصارعي الثيران تشهق نسوة السادة

أعود إليك، يا حيّاً من الألواح والقصدير والقمر
يهز نخيلة حجرية الشيص
ويرقب كل ليل نجمة السفر
وخطوة سيد يأتي مع الريح
ليزرع أرض هذا الحي بالنعناع والشيح
ويبني مسجداً، ويطير بالبشر

سلاماً، أيها الحي الذي لم تغترب فيه
ولم نطعم مآكله، ولم نترك مقاهيه
سلاما،
أيها الأعمى المغني قصة التيه
ويا متسوليه
وباعة التبغ المهرب، والأفاويه
ويا شيئاً يفوح على أزقته، ويزهر في نواحيه
. . . . . .
شممت، على البعاد، مدينتي فيه

١٩٦٦

البحث عن خان أيوب

تساءلت حين دخلت المدينة عن خان أيوب،
ما دلّني أحد،
فالتففت ببعضي، ونمت:
كان وجه المدينة أزرق . . .
أشجارها تستطيل وتكبو، ولكنها تستطيل لتكبو، وثالثة تسكر
وكانت منائرها خزفاً مغربيا،
وبحراً محيطاً أزقتها،
تتقافز منه الوجوه التي ترتدي عريها . .
كان بين العراق وبيني رمل الجزيرة،
قلت: انتهيت . .
ولكنني حين فتّحت عينيّ أبصرت عينيك . .
إن السماء
تظل ـ كعينيك ـ زرقاء
إنك في الشجر ـ الوهم، والوخز، بيتي ومكتبتي،
والسبيل إلى سفح سنجار . .
لملمت بعضي وسرت

لماذا يراني جنود الخليفة شخصاً غريبا؟

لأني تحدثت في السوق عمّا وراء النهر!

يقول لي السوق شيئاً، يقول لي الشوق شيئا،
فأقسم بين اثنتين القميص الذي ورث الفتن الداخلية،
والكتب المستباحة..
أقسم بين اثنتين الشفاه التي تتناول،
والجامع الأمويّ الذي يتناول..
اقسم بين اثنتين الإله.

ولكنني لدمشق، المدينة والجرح، أمنح نار التوحد،
أعلن في الصحف المشتراة
وفي الصحف المشتهاة بيان الذين رأوا وجهها قبل أن يولدوا،
والذين يريدونها امرأة تتزاوج فيها الشهادة والماء،
بين الشهادة عشرون ميلاً وبين دمشق..
وعشرة آلاف ميل تناءت دمشق
وأشجارها عن دمشق.

مضى زمن كانت الأرض فيه تدور على نفسها،
وأتى زمن العاشقين الذين إذا دارت الأرض ماتوا،
أو اجترحوا الرفض كي يوقفوها

مضى زمن كانت البندقية فيه التفرّد، والحلّ،
أنا على رقعة لا تهاجر فيها الخيول.

مضى زمن كانت المدن العربية فيه ثغوراً.
لقد جاءنا زمن المدن المصرفية

يراقبني الليل . . .
أعمدة الجامع الأموي العتيقة
تراقبني . .
إلى حيث ينفرد الظلّ بي، والمياه العميقة
وأسمع بين الغصون التي ازرّقت الأرض منها ورقّت :
أنا الطائر
أنا الصوت، والجدول النافر
أنا ابن الإله الدمشقيّ . .
إني انتظرتك عاماً فعاما . .
وعاماً فعاما هجرتك،
لكنني العاشق الفرد.
ـ هل نتحدث وقتاً قصيرا؟
ـ ألا تجلس؟
هنالك مقهى، كراسيُّه سقف، كان يرتاده العدميون
والهاربون ومن يصنعون القنابل سرية، لوددت.
لو أني آتيك منه بفنجان قهوة.
ولكنني ـ إن أردت الحقيقة ـ أخجل من بعض روّادها،
فلنقل ما نشاء هنا . . إنني قائل ما تقول.
تفتّح لي خان أيوب.

ما دلَّني أحد،
غير إني دخلت . . .
وبين حديقته والدهاليز أبصرتهم يصنعون القنابل . . .
إنهم اخوتي، يرسمون دمشق على هضبة الله والاحتلال
إنهم اخوتي، يرسمون على النهر أعمدة الجامع الأموي
جسورا
جسورا
جسورا
جسورا
إلى الناصرة .

سأسكن في خان أيوب،
ما دلَّني أحد،
غير أني اهتديت .

١٩٧٢

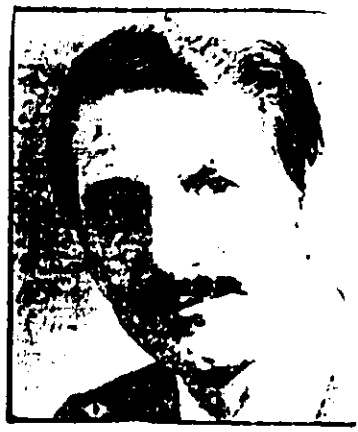

محمد جميل شلش

شاعر قضية قومية وكاتب، ولد عام ١٩٣٠ في مدينة (الخالص) بمحافظة ديالى، أحس بميل فطري نحو كتابة الشعر في وقت مبكر منذ أن كان طالباً في الثانوية، فأجج ميله هذا، انخراطه في النضال القومي وتأثره وانتماؤه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام ١٩٥٠، فكتب المقطوعات الشعرية والقصائد القصار، ونشرها في مطلع الخمسينات في صحف بغداد ومجلة (العمل) لصاحبها عدنان الراوي.

تخرج في دار المعلمين العالية سنة ١٩٥٤ وحصل على الماجستير من جامعة بغداد سنة ١٩٧٠.

عين في وظائف عديدة: مدرس ثانوية ومدير عام الثقافة بوزارة الثقافة والإعلام عام ١٩٦٩، ثم مستشار صحفي في عام ١٩٧٩ وآخرها مستشار بمكتب المنظمات الشعبية في مجلس قيادة الثورة عام ١٩٩٣، وهو عضو اتحاد الأدباء وحضر العديد من المؤتمرات الثقافية في القطر، مشرفاً ومخططاً ومساهماً.

نذر شعره لقضية النضال العربي، وسجن وحوكم عدة مرات بدايتها عام ١٩٥٩ لمدة سنتين في سجن بعقوبة.

من دواوينه المطبوعة:

ـ الحب والحرية ١٩٦٤

- غفران ١٩٦٦
- الموت والميلاد ١٩٧١
- سبع سنابل من نيسان ١٩٨٢
- البعث ١٩٨٠
- أرخبيل الصمت ١٩٨٢
- سلاماً يا عراق ١٩٨٣
- وجوه وأقنعة ١٩٩٠

وله آثار نقدية وبحثية منها: الحماسة في شعر الشريف الرضي ١٩٧٤، وفي التراث العربي - جزءان ١٩٧٩، واللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية ١٩٨٦.

كتب عنه عبده بدوي من مصر يحدد منهجه في الحياة: «الحب والحرية بمعناهما الشمولي والإنساني والالتزام المبدئي بقضايا الأمة والوطن والزهد بعرض الدنيا».

شعر محمد جميل شلش شعر رقيق يعتمد بعض الرموز ليكون التعبير أبعد مدى وأبقى أثراً، لغته سلسلة بسيطة، تنساب مشاعره بهدوء، يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة، تحس كأنه يريد أن يقول شيئاً مكنوناً في أعماقه، فينأى عن المباشرة تاركاً لصيغه التعبيرية وكلماته الإيحائية أن تقوم بهذا الدور.

مختارات من شعره:

عندما يأتي الربيع

قالتْ . .
وقد وافى الربيع :
«أراك طلَّقتَ الغناءْ»
قلتُ «انقضى عهد الغناء
أيلوكُ بعد اليوم أغنيةَ الربيعْ
فردٌ، ويلتحف العراءْ
مليون يغرق في السماء؟»
قالت . . .
وقد وافى الربيع،
وخيام أهلي، في زواياها، يموتْ
كالعنكبوتْ،
شيخ، وأرملةٌ، وتعتصر الدموعْ
إشراقة الطفل الوديع .

قالتْ . .
ودنياها ربيعْ،
ومرارة الألم العظيم عصارة الشعب الصريعْ :
«هل لي برائعةٍ كألوان الربيع،

أتحب أجنحة الفراشِ، وبسمة الثغر الصغيرْ
أتحبّ كوكبك الصغير
أتحب لون الزهر . .
آنستي أهيمْ
سأهيم ـ لا تتعجلي ـ بهوى الزهور
بهوى العطور،
برفيف أجنحة الطيور،
بهواكِ، بالدنيا الجديدة، بالغناءْ
بربيع أمتنا المرجّى . .
عندما يأتي الربيع .

١٩٥٥

احتضار

قالَ :
ـ وفي عينيه شيء يموتْ ـ
«في بيتنا عنكبوت
وحيّة تسعى
وخفاشٌ . . .
وبومٌ، وحوتْ
في بيتنا شيءٌ كبير يموتْ»

قال :
ـ وعيناه تضيئان .
كفجر نيسانِ
«ألمح في عينيكَ شيئاً يضيءْ
يا وردةً في تاج نيسانِ،
شيئاً يغني «قبل عشرين عامْ»
كنا كدنيانا،
كنا نغني، للهوى، للسلامْ
فيشرب البيت حكايانا»

قال :

ـ وعيناه تغورانِ
كجرحهِ النفَّار ـ « . . شيءٌ كبيرْ
شيءٌ كبير يا رفيق السلاحْ
ألا نغني لثغور الجراحْ
في عز نيسانِ»

. . . . . .

وحشرجتْ في صدره كلمتانْ :
ألمح في عينيك شيئاً يثور
كجوف بركان .

١٩٥٨

مدينة بلا أصدقاء

مضى الليل، وجاء الفجر مخضوب الخطى، والآنْ
طرقت الباب، بعد الباب «هل في الدار من إنسان؟»
صدى: من قبل يومينْ
- إلى أين؟ إلى أين؟
لقد كنا صديقين
حميمين
صدى باكٍ «لقد خلّف طفلين
وذكرى زوجة ماتت، ووالدة، وأختين
لقد كبله البوليس! . . »
أواه أخي الإنسان
أواه أخي الإنسان!

*

وعاد الليل تؤنسه بقايا من نجيمات
وفي قلبي تفتحن، وأشعلن حكايات
صديقٍ، وقعتها الريح في الطرقات أنات
هنا أمس تلاقينا
هنا أمس تعاتبنا
هنا أمس تصافحنا

هنا عنه سألت الصمت، والأشجار، والليلا

على بغداد يرخي الهول والويلا

فلا شيء،

إضمامة زنبق

لك يا محمود في قلبي
كما تصدح آلاف العنادل
وكما تحلم صحراء بأنفاس الجداول
وكما تزهو بنيسان الخمائل
لك «موّال» وراء السور
للشعب يغني
ويناضلْ
في ظلام السجن أعداء الحياة
لك يا محمود من أعماق ذاتي
لك أحلى أغنياتي
لك أغلى أمنياتي
لك في قلبي من الفرحة زورق
حالمٌ يحضن محمود «الموفق»
لك إضمامة زنبق
من وراء السور والقضبان
يا حلو الشمائل
يا مناضل

*

مرة أخرى
ومن أعماق أعماق حياتي
لك أغلى أمنياتي . .

١٩٦١

الفستان الأخضر

الله . . يا فستانها الأخضر
يا واحة للطيب يا عنبر
رفرف كما نهوى فأحلامنا
سكرى وخير الحب ما أسكرْ
رفرف ولا تحذر
يا مشتل العنبر
يا طيف أغنيَّه
رفرف على الريح الخريفيَّه
رفرف على دربي
صفّق جناحاً أخضراً
يا منتهى حبّي
أبحرْ شراعاً في عباب الشوق
للمجهول من أحلامنا
للمشتهى العذب
واحمل إلى ما تشتهي قلبي
يا مشتل الخصب
يا مخمل العنبر
الله . . .
يا فستانها الأخضر

١٩٦٠

الزحف

وانطلقنا . . وجبهة السلم تغلي :
مادت الأرض يا جنود السلامهْ
وانطلقنا وموكب الفجر يمضي
ويغني : نموت دون الكرامهْ
وانطلقنا . .
فالشرق فجر اخضرارٍ
وسلام . .
فرفرفي يا حمامهْ
أي فجر مورّد
يتخطّى ذرى الغد
ويغني :
غداً تكون الرصاصهْ
للمحبين . . يا ثغور البنادقْ
للملايين
يا عذاب المشانق
بلسماً في فم الجراحْ
ونشيداً لدى الكفاحْ
يملأ الشرقَ : يا ملايين سيري

واستميتي من أجل شعب كبير
أضرم الحب في حناياه ثائر
فتنزّى لظى بأرض الجزائرْ
يحرق الشمس والردى والضمائرْ
ويدوّي في سمع أهل القبورِ
ويغني أنشودة التحرير :
يا سلامَ الشعوب إنّا سنمضي
وسنمضي من أجل سلم طهور
وانطلقنا وموكب الفجر زَنْدٌ
عربي يدقّ باب المحالِ
وانطلقنا ورفقة الشمس نارٌ
تحرق البغي في مياه القنالِ
وانطلقنا والزحف يمضي ويمضي
مستميتاً على حداء الرجالِ!
يا ملايين زغردي
يا مشاعلْ
فسنمضي من الخليج
ونمضي
ونغني لمصرنا . .
ونقاتل

١٨/ ٥/ ١٩٦٣

الحب والحرية

يا أصدقاء المصيرْ
يا رفقتي على طريق الشمسِ
يا طليعة النصر لشعبي الكبير
يا وجه شعبي الصامد المعذب الدامي
يا نبع إلهامي
أحبكم يا أصدقاء المصيرْ
أحب عيونكم أروع حلم نضيرْ
أحب شلال انبعاث كبيرْ
يولد في أعماقكم ويهدُر
يقول :
نحن القدرْ
أحبكم يا أصدقاء المصيرْ
من أجل أن تنبع في أعماقنا الثريهْ
أروع سمفونيهْ
للحب . .
والحياة
. . والحريهْ

أحبكم من أجل أن نذوب في أغنيهْ
خضراء
حمراء
جماهيريهْ
تحرسها القلوب والسواعد الأبيهْ
أحبكم من أجل أن تورق في نفوسنا
زنابق الإخاء
من أجل أن تُطل من سفوحنا
على الدنى
زيتونة خضراء
أحبكم من أجل أن ينتصر الإنسان
في معركة البقاءْ
من أجل أن تمزق الشعوب أسطورة قيد ونِيرْ
من أجل شعبي العربي الكبيرْ
أحبكم يا أصدقاء المصيرْ
أحب فيكم لون مأساتي
أحب نيران العذاب الكبير
تصهر في آلامكم ذاتي
تحرق آهاتي
تشدني للشمس أنّى أسيرْ
وتقذف الحاضر للآتي

* * *

أحبكم يا أصدقاء المصير

يا رفقتي . . يا ضميرْ
شعبي ويا منبع إلهامي
جنحّت من عالمكم
من دمكم
حكايتي
ألذَّ أحلامي
أروع أنغامي
حكاية تقول : كن
من عالم الطينِ إلهاً مبدعاً وإنجيل .
من العدمْ
من القدمْ
من الزمان والمكان من عروق الأزلِ
فالله والزمان منذ الأزلِ
ينغّمان في عروق البشرِ
أنشودة التحرّرِ
أنشودة النماءِ والعطاءْ
من أجل ذا أحبكم يا أصدقاء المصيرْ
أحب أن تورق في قلوبنا زنابق الوفاءْ
أحب أن تصدحَ من أعماقنا بأروع الغناءْ :
يا رفقتي ما أروع الحياةَ . . .
أن نبدع في معركة المصيرْ
من روحنا الخالد، لوناً خالداً
ونكهة لفجرنا الكبيرْ

ما أروع الفداءَ
أن نحمل عن إنسان هذا الكوكب الصغيرْ
عذاب كل الناس في معركة البقاءْ
ما أروع الإنسان أن يرفع للعلاءِ
في صراعه الرهيب
صخرة «سيزيف» ومصباح «ديوجينوسْ»
ومشعل «بروميثيوس»
صانع اللهيبْ
ما أجمل الحيا . . لو تغيب
عن وجهها عواطف الفناء . . لو يصير
إنسانها آمَنَ من حمام
مكةَ . لو تنبع من أعماقه أنشودة السلامْ
أحبكم يا رفقتي
من أجل وجه مشرق حبيبْ
ألف مسيح عُلِّقوا
لأجل عينيه على الصليبْ
وألف ألفٍ يولدون في الضحى
من جرحه الخصيبْ . . .

١٩٦١

المصادر

١ ـ الأدب المعاصر في العراق: د. داود سلوم (بغداد ١٩٦٢).

٢ ـ آراء في الشعر والقصة: خضر الولي (بغداد ١٩٥٦).

٣ ـ الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب: أحمد عودة الله الشقيرات (الأردن ١٩٨٧).

٤ ـ بدر شاكر السياب: إيليا حاوي (سلسلة الشعر العربي المعاصر) بيروت ج١ ـ ٢، ٣، ٤، ٥.

٥ ـ بدر شاكر السياب: حياته وشعره، عيسى بلاطه (بيروت ط٣، ١٩٨١).

٦ ـ بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره، د. إحسان عباس (بيروت ط٥، ١٩٨٣).

٧ ـ تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي: د. داود سلوم (بغداد ١٩٥٩).

٨ ـ السياب شاعراً: علي مهدي زيتون (بيروت ١٩٩٦).

٩ ـ السياب بعد ١٢ عاماً على غيابه (الجمهورية) البغدادية.

١٠ ـ السياب في ذكراه السادسة: محفوظ داود سلمان (بغداد ١٩٧١).

١١ ـ السياب، مؤلفاته ومصادر دراسته: د. صباح نوري المرزوك (الحلة ١٩٧٤).

١٢ ـ الشاعر بدر شاكر السياب، دراسة فنية وفكرية ـ حسن توفيق (بيروت ط١، ١٩٧٩).

١٣ ـ الشعر العراقي، مرحلة وتطور ـ د. جلال الخياط (بيروت ط٢، ١٩٨٧).

١٣ ـ الشعر العربي الحديث: ميشال خليل جحا (بيروت ١٩٩٩).
١٥ ـ الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨: يوسف الصائغ (بغداد ١٩٧٧).
١٦ ـ الشعر والشعراء في العراق: أحمد أبو سعد (بيروت ١٩٥٩).
١٧ ـ شعراء عراقيون: منذر الجبوري (بغداد ١٩٧٧).
١٨ ـ الدكتور صالح جواد آل طعمه: ببليوغرافيا ـ د. صباح نوري المرزوك (الحلة ١٩٨٦).
١٩ ـ الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي: محمد حسين الأعرجي (بغداد ١٩٧٨).
٢٠ ـ عود إلى الشعر الحر: علي الحلي (جريدة الجمهورية (بغداد ١٩٨٤).
٢١ ـ قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة (بيروت ١٩٦٧).
٢٢ ـ قضية الشعر الجديد: د. محمد النويهي (القاهرة ١٩٧١).
٢٣ ـ قصائد مختارة: علي جعفر العلاق (بغداد ١٩٧٧).
٢٤ ـ كاظم جواد، حياته وآثاره: خالص عزمي (بغداد ١٩٨٨).
٢٥ ـ موسوعة أعلام القرن العشرين: حميد المطبعي (بغداد ١٩٩٥).
٢٦ ـ معجم الشعراء العراقيين: جعفر صادق حمودي التميمي (بغداد ١٩٩١).
٢٧ ـ ويكون التجاوز: محمد الجزائري (بغداد ١٩٧٩).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهـــداء	٥
تمهيـــد	٧
الشعر الحر لماذا؟	٩
مصطلح الشعر الحر	١٠
جيل الرواد	١٣
بدر شاكر السياب	١٩
نازك الملائكة	٤٩
عبد الوهاب البياتي	٦٧
بلند الحيدري	٩٧
كاظم جـواد	١٢١
حسين مردان	١٤١
صالح جواد آل طعمة	١٥٩
شـاذل طـاقة	١٨٥
علي الحـــلي	٢٠٣
عبد الرزاق عبد الواحد	٢١١
سعدي يوسف	٢٢٩
محمد جميل شلش	٢٤٣
المصـادر	٢٦٠